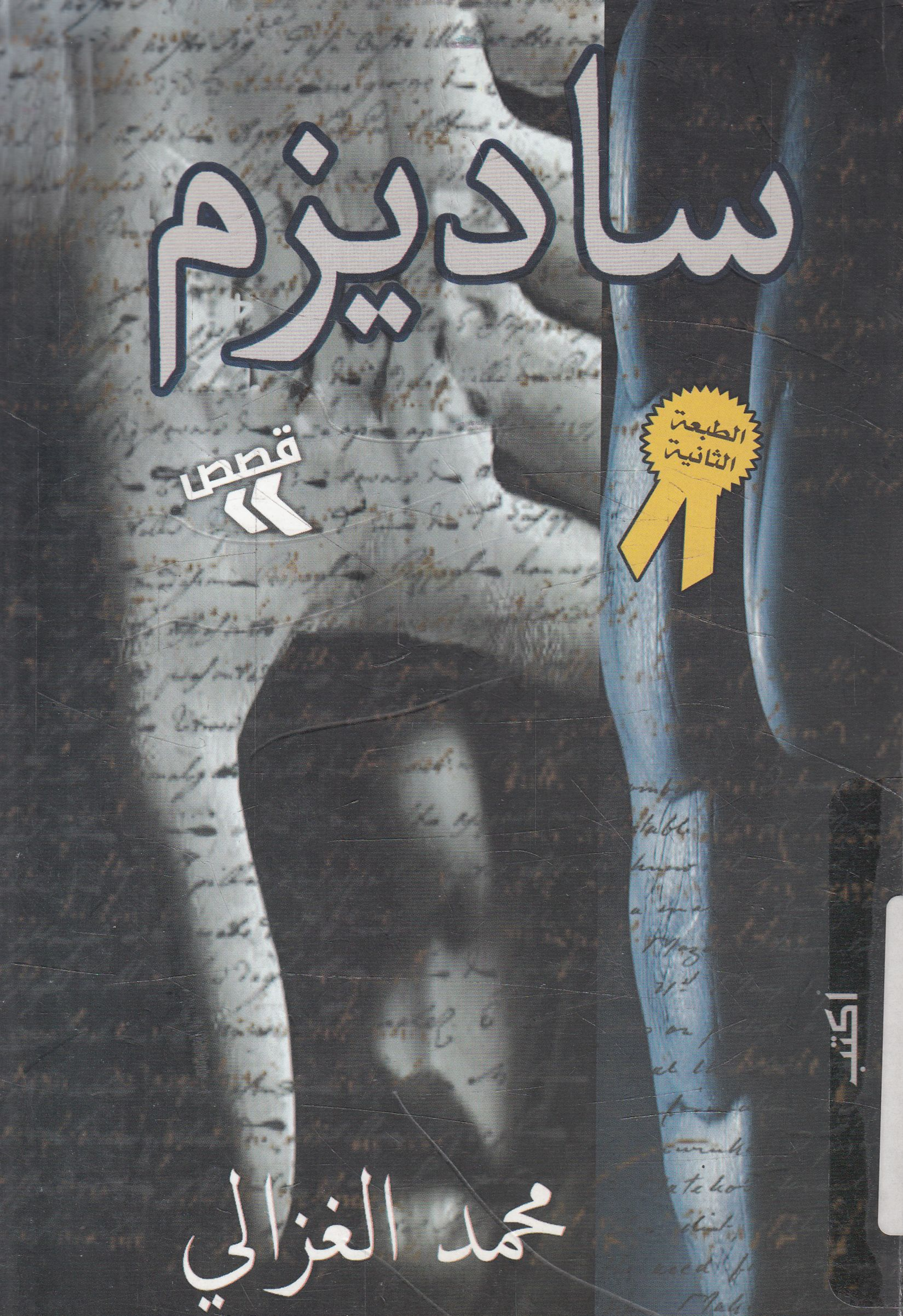


ساديزم
قصص
الطبعة الثانية
محمد الغزالي

ســـاديزم

محمد الغزالي

ساديزم / قصص

محمد الغزالي

الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

احمد مهنى

تدقيق لغوي :

حسام مصطفى إبراهيم

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٩٨٧٩

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٤٧- ٠

ســــاديــزم

قصص

محمد الغزالي

الطبعة الثانية

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع

مقدمة

قد غامرت وكأنني واحد من الصبية اللاهين على قمم الموج

مثلهم أحاول تطويع كيس منتفخ بالهواء

صيًفا بعد صيف.. أيامًا طويلة

في بحر من المجد

لكن البحر كان عميقًا ..عميقًا جدًا

أعمق مما أستطيع أن ألهو فيه!

ويليام شكسبير...

مسرحية هنري الثامن

خطة نابليون

"المبدأ الأول هو أنه يجب ألا تخدع أنت نفسك لأنك أسهل شخص يمكن خداعه"

"ريتشارد فينمان"

- أنا من البداية، كنت بضيع وقت..فاهمني ..؟

ولو مش فاهمني..طظ.. إيه الجديد؟ .. عارف إيه أكــبر ألم يا "حاتم"؟

إنك تحب واحدة للكل..بالظبط.. ده ألعن ألم.. ســاعتها تبقى حمار..

أنا حمار يا" حاتم "..حمار.

* * * *

- بتحبي الشطرنج؟

- لا..مش بفهمه.

- دي لعبة الأذكياء!

تنطق كلماتها بلوم:

- وأي حد مش بيلعبها يبقى مش بيفهم يعني؟

- هههههههههههه...هعلمك.

* * * *

-كيف عرفت أنها هي!!..وكيف تعرف أنت أمـــك مـــن وسط ألف امرأة! ..كيف أعرف أنها حبيبتي! هذا ســـؤال لا يصدر إلا عن غرٍ ساذج يا "حاتم"، فلا تتصرف أمامي وكأنك القديس "حاتم".. هههههههههه..انتظر.. انتظر.. ســأحدثك بصدق.. أتعرف الشذى الذي تنثره تلك الزهرة هناك فتعرف أن تلك الوردة هي من نفس فصيلة الورد في حديقة غرفتك.. منذ المكالمة الأولى وأنا أشعر بذلك الشذى.

ثم تتوالى الأيام وهي تخترق قلبي كما تمر الشهب ..لقطة.. فلقطة..أصبحت هي كل شيء..فنجان القهوة، بـــن معتـــدل وسكر مضبوط ..الشاي خفيف ومحلى بالنعناع ..هنا ابتسمت في هذا المكان بالضبط ..وهنا ارتعشت يدها وأنا ألمسها.. أها وهنا.. هنا ارتفع حاجبها الأيمن لتعبر لي عن نظرة من نوعيـــة،

اللعنة عليك إن اقتربت..وأنا اقتربت يا "حاتم".. إذن.. فلتحل عليَّ وعلى قلبي اللعنة ..

* * * *

- فلنبدأ الدرس الآن..ضعي الملك في المكان الآمن خلف الصفوف، وضعي حجارتك في المكان المقابل لحجارتي ..ههههه انتظري ..الملك يجب أن يكون في مكان الوزير ها هنا.. كل ملك على لونه المخالف ..ابدئي.

* * * *

قلبك والقسوة مرادفان لكلمة واحدة في قاموس الحياة..وعيناكِ والبراءة شريكان في جريمة قتلي ..وشد الحبل وإرخاؤه لعبة تجيدينها.. والسذاجة هي ملامحك الطبيعية، فلا تحتاجين إلى قناع لادعائها..ونظراتك الشمسية تخفي انطلاقة القمر من عينيكِ، لكي تعلميني من جديد كيف أندهش، فأحترق، وأحرق سيجارتي، وأدخن، فيصير للتبغ مذاق قبلتك بدون أن أقترب. وأتنفس شذاكِ لكي أغيب وأنكسر..

- ماذا أصفها وكيف أصفها! ..حسنًا سأحاول، انظر إلى القمر، أترى تلك الغجرية الراقد وجهها بداخله.. حبيبتي هي تلك الغجرية.. وماذا عن غرام الغجر..إنه يعلمك أن لسمار الجلد طلسمًا لا يُفتح إلا بكلمة واحدة ...الجنون...

* * * *

هي.. وماذا لديها لتقول يا "حاتم" ..هه ..تسألها.. وعليَّ أن أسمع دفاعها.. هه ..حسنًا حسنًا، فلتتحدث..

- مشكلتك أنك لا تدرك كيف هو خوف الأنثى .. لا تحدثني عن الحب، فحبك مثلك يا سيدي المجنون الغريب..انظر إلى دخان سيجارتي ..حبك وهم وسراب مثل دخان سيجارتي هذه ..هل أستطيع أن أمسك ذلك الدخان بيدي؟.لو استطعت.. لربما أحببتك يا سيدي العزيز. لربما فكرت.

* * * *

- بالطبع عليكِ أن تحركي قطعك بحذر . . صدقيني الحظ دائمًا ما يسعف قليلي الخبرة ..فقط تذكري أن الموت هو النهاية إن خسرتِ، لذلك عليكِ أن تحسبي خطواتك قبل أن تتحركي ..الأحجار تتنفس، فلا تقتليها بكثرة التدخين، حركيها وأحبيها.

* * * *

أريد أن أدخن الآن ..تتساءل لماذا أعود إلى التدخين؟!.. نتظر لأشعل تلك السيجارة وأنفخ دخانها وأنا أغمض عيوني.. انظر. سأنبئك يا "حاتم"، لأنها تدخن..أيمكنك أن تتخيل أن

يصبح نفس ذات التبغ الذي تعتصره رئتاها ويمر بالقرب من قلبها النحاسي.. هو من نفس فصيلة دخاني ... ثم لأنني أقبِّل السيجارة كأنني أقبِّل شفتيها... وأعتصر العلبة الفارغة بقسوة.. بامتهان.. لأنني أدركت أنني أجري وراء السراب. فأمسك بقلبي كأنة العلبة التي أفرغتها منذ قليل وأنظر في العينين البريئتين والقلب المدنس..لأحترق، أحترق يا "حاتم".. أحترق بحق..

* * * *

من سينظر إلينا الآن ويرى تداخل الأحجار البيضاء والسوداء في بعضها البعض، لا يستطيع توقع النهاية ولكن لابد أن تتضح الرؤية بعد هذه المرحلة..

* * * *

ربما علينا أن نتوقف عن التخبط قليلاً.. لنشرح من أنا ومن أكون.. كل هذه الفلاشات تتعبني أنا شخصيًا يا "حاتم"، فما بالك بك أنت! . انتظر! انتظر! لا تقف في الركن مثل التلميذ الخائب، تعال وأنا سأحدثك من البداية.. وأعدك بأن أتكلم بمنطقية..هههههههههههههههههه..منطقية؟! ..بالطبع. التقط أنفاسك ولنبدأ..

- أنا "باهر رشيد" ...محاسب في شركة أدوية .. منذ تخرجي وأنا هنا..أنت تعلم أن عمى هو العضو المنتدب لتلك الشركة .لا تعلم؟! إذن، الآن أنت تعلم ..أنت تعرف أنني لا أطيق الزحام والضجيج، ولا أطيق البشر خاصة بعد أن انتقلت لمصر..لاكتشف أنها مزيج من كل ما أكرهه.. لا تعرف أنت بأن نصفى بالكامل يحمل الدماء الزرقاء..نعم بي عرق انجليزي هو لأمي ..غرك سمار لوني، أليس كذلك؟ ..لا أنا أحمل الجنسيتين، ولا أردد هذا دائمًا ..دعني فقط ولا تزعجني باستفساراتك..أعود إلى البشر.. أها..انظر يا "حاتم"! الجميع أغبياء..كلهم ..وغباؤهم هذا يؤثر عليَّ بالسلب.. حتى الشطرنج -لعبتي المفضلة- لم أعد أمارسه..قلما أُخرج طاولة الشطرنج من حقيبتي لأضعها بمستوى رأسي... لماذا؟ ..من سيلعب ضد عقلي يا "حاتم"؟!..الشطرنج..الشطرنج.. عقلي هو من يلعبها عندما ألعبها فيجب على الجميع أن يعتاد وجودي..

* * * *

- هههههههههه.. من قال لكِ بأن الوزير يتحرك بذلك الشكل ..لم أعرِّفك بتحركات القطع، حسنا، انظري !

سأعلمها لكِ بطريقتي ..ولكن لا تفتحي عينيك بتلك الطريقة فتثيرين جنوني ...ولا تخجلي أيضا ليتضرج وجهك بالحمرة، فبهذا أيضًا تثيرين جنوني!! .

* * * *

- أتعرف أني كنت أكره يوم الأربعاء قبل أن أراها! لا تعرف؟ ..أها.. كنت أكرهه.. تشعر أنه يوم بلا أي ملامح خاصة ..لو تم انتزاعه ..ماذا سوف يحدث؟! سوف تستمر الحياة طبيعية..أليس كذلك؟ سبت، أحد، اثنين، ثلاثاء، خميس، جمعة..فكرة عبقرية يا "حاتم".. انتظر! لا تتهمني بالعنصرية.. الذكاء أساسًا ليس حكرًا على أحد ولا هو عملية ذهنية صعبة....إنه ممارسة ووجود لإعمال تفكيرك في أكثر من موقع!! أتعرف لماذا أعشق الشطرنج؟ ..المتعة في لعبة الشطرنج -مع أنه لعبة الأذكياء فقط- أنِ الفائز واحد !

والمتعة الأكبر ليست حينما تلعب بالقِطَع فقط.. بل حينما تلعب بخصمك أيضًا! ...سأعلمك السر.. خصمك غالبًا ما يحصر كل تفكيره في خطوته القادمة...لكنه لا يعلم شيئًا عن خطوتك أنت القادمة! متعة هذه اللعبة تقع حينما تؤمن بخطواتك....وبازدواجية الفكر...تتوقع خطوته التالية..وحينها فقط يا "حاتم" يمكنك أن تبتسم في عينيه وتقول: ..كش! كش ملك!

* * * *

_انظري يا صغيرتي.. المتعة في الشطرنج ليس في أن تنتصري أو تهزمي ..المتعة حينما يصبح (الشطرنج) سياسة

وتستخدمينه في حياتك العامة...لا تعرفين كيف؟ ..سأعلمك يا طفلتي ..انظري..

هذا الجندي... وهو عادة أسوار تحمي بهـا شخـصيتك بمتغيرات بسيطة وهو يحمي جميع القطع ..

وهناك الخيل...وهي للتوغل في جـسد خـصمك دون أن تحطمي أسواره..

وهناك الفيل..وهو الأصعب استخدامًا والأذكـى علـى الإطلاق..فهو يسلك أكثر الطرق مراوغة بخطى مـستقيمة!! وهي عادة ما تكون ضربات توجهها لخصمك من زاوية الخلل في شخصيته...فينهار!!

* * * *

ـ كنت أراها كل يوم يا "حاتم"..كل يوم..ولكنى لم أنظـر من قبل إلى عيونها..حينما حدثتني عن الرحلة..كانت تعلم أنني لن أذهب..لذلك دهشت عندما ذهبت.. صدقني من ينظر في عيونها السوداء لا يمكنه أن يرفض طلبًا..لو طلبت مني أن أقسم والآن على أني رأيتها من قبل في القمر، سأقسم لك، لا ليست سذاجة..أنت تعلم أنها ليست من الطراز الذي أفضله أساسًا.. هي سمراء وأنا أعشق البيض ..تعرف أنت كيف أنظر للنـساء

..صحيح أن تجاربي يمكن أن تحصرها على أصابع يديك، ولكن صدقني إن مجرد النظر إليها يعيدك بريئًا ..أنا أقترب يا "حاتم"..وأقترب.. أسقط، وأسقط.. واللعنة عليَّ إن أحببت ..اللعنة عليَّ .

*****

سأسألك سؤالاً ولا تجيبي .. فكرى فيه فقط عندما تستطيعين القضاء على الآخر (الملك) بأحد الجنود، هل هو ذكاءٌ خارقٌ منك، أم غباءٌ خارقٌ من الطرف الآخر؟!!

*****

_تعلم أنت كيف تجرى تلك الأمور..لا داعٍ لابتسامتك من فضلك..أتعرف؟.حينما تجذب وترًا فإنه يُصدر نغمًا غريبًا..لا.. ليس نشازًا..ولكن غريبٌ..أراهنك أنها شعرت بي وأنا أتأملها..لو كانت النظرات تلمس لتمت محاكمتي بجريمة التحرش، ولرضيت بها أنا عن طيب خاطر ..ها أنا ذا أتوسد عينيها..وألمس شعرها بدون أن يبدو على جسدي ولا عيوني التغير..أحفظ تقاطيع الحركة فيها..هي تحدثني كصديق..ههه..صديق بالفعل..تعلم أنت أنهن جميعًا ما يبدأن

هكذا ...لا تعرف؟ هه..لأنك لم تر عيونها..أتعرف النهر الذي رمى فيه "أخيلس" -بطل الأسطورة- لكي يتقبل الموت بكل ترحاب؟..عيونها هي نهر الموت يا "حاتم ". صدقني..حينما تنظر فيهما يمكنك أن تتقبل أي شيء وكل شيء!

*****

_سوف أعود للقطع.. هه..لم تفهمي السؤال ..ركزي فقط...انظري.. تلك هي القلعة... ولا يصح أن تستخدمينها كثيراً... لماذا؟.. لأنك مثلها بسيطة وصريحة..في حالتك يصح أن تستخدمينها من حين لآخر بعد خطوات الذكاء والتعقيد...فحتمًا ستربك من يلعب ضدك واعتادي ألا تعتبرينها هجومًا... لماذا؟ لأنها حركة دفاعية في زى الهجوم !!

*****

_أراها واقفة كثيرًا يا "حاتم" مع الجميع...خاصة مع ذلك الشاب الأبيض الناعم.. أنت تعرفه.. من قسم الخدمات ..لا أشعر أنه رجل أساسًا..أنت تعرف أني رأست قسم الحسابات..بالطبع ..لم يخبروك بعد..حسنا أصبحت أنا الآن المدير الأصغر سنًا في الإدارة..أنت تعلم، لا أتنازل عن المنصب الأول أبدًا يا "حاتم"..لا أعلم فيم يتحدثان كثيرًا وكثيرًا..سوف تقام مسابقة للشطرنج.....وهى لا تستطيع أن

تلعبها .....الفرصة سانحة للفوز بالمسابقة وبقلبها ..تعرف أن أخاك هو الأذكى ..أليس كذلك؟..

*****

وهناك في القرب يقف الوزير...وهو رمز الثقة...فالرجـــل الذي يفرض ثقته على الحضور، هو رجل يـــستخدم الـــوزير كثيرًا....هذا احذريه لأنه اندفاعي ولا يعي حجم تصرفه!!

ولكن الذكاء أن تستخدميه بعدما ينسى خصمك وجوده!!

*****

تقترب مني هامسة.. لا أعرف من أين عرفت أنـــني بطـــل الجمهورية السابق..تريد أن أشترك بالتحكيم.أتأملها..

ـ*الشطرنج* لا يحتاج إلى محكّمين..يستطيع صـــديقك مـــن قسم الخدمات أن يقوم بهذا الدور..كيف نطقت بهذا! صدقني أنا لا أعرف يا "حاتم".. فقط قلتها وأعطيتها ظهري...لتجعلني ألتقط أنفاسي:

ـ"محمد"مش صديق.

أتنفس مرة أخرى يا "حاتم"..أنت تدرى أن..

فتقاطعني مرة أخرى:

ـ"محمد" خطيبي يا أستاذ "باهر".

*****

بجانب الوزير..هذا المختال بعظمته هـــو الملـــك...وهـــو شخصيتك الحقيقية التي تعجز عن حماية نفسها!!!!

*****

ماذا؟ صدمت؟!..ومن هي حتى تصدمني من الأســاس يــا "حاتم"؟!..ماذا؟ تتكلم مرة أخرى؟ ..دعها تتكلم..ولننتظــر آخر ذلك العبث يا "حاتم".

_الحياة مثل الطاحونة ..والذكريات هي القمــح ..ونحــن نسير لا ندرى إلى أين.. ولكننا نسير ..مــن قــال أن الحيــاة معادلة مترابطة الأطراف ..الحياة نزوة. وعلينا أن نمــر دون أن تلوثنا ..علينا أن نخوض في بحر الذنوب، ونــصعد أبريــاء..أن نحترق بالشهوة ونظل نتحلى بفضيلة الشرف..علينا أن نشرب كأس الحياة حتى الثمالة..بدون الحق في أن نشكو من طعم المر!

تحاسبني على الحب؟ لو أن كل كلمة حب مرت بي هي إثم وله حد، فعليك إذن أن تجلدني في ميدان عام.. ألف ليلة..مــا ذنبي إن عشقني فلان أو أحبني علان؟! ..أنا أحذر من يقتــرب مــني.أنــا لــست للحــب ..انظــر إليّ.. تلــك المساحيق..أثارتك..شعور الرجل نمى في أحشائك فــأردت أن تثبته للجميع ..تبًا لكم..أوف.. ها هي العلبة قد انتــهت...لا تحدثني عن قوانين الرحمة..أنا كل ما فعلته في عمــري كــان

محاولة عدم إيلام الآخرين. وهم... نظروا لي وأنا أتألم بمنتـــهى العبث واللامنطقية. وتركوني بحجـــة أنى الأقـــوى....مـــاذا عنه.."محمد" خطيبي! شاب عادى..قد يئست من محاولة العثور على بطل.. الأبطال مكانهم الأساطير يا عزيزي. الأســـاطير.. ورأس صديقك المتوهم هذا.

*****

_ماذا؟..سأشترك في المسابقة بالطبع...همم.. تريـــدينني أن أعلمك خدعة؟ حسنا..سوف أقول لكِ إحدى أبسط وأسرع الخطط في الشطرنج..خطة نابليون ..انظري إلى يدي ..

*****

تتكلم هي مرة أخرى ... أوف.. دعها تتحدث يا "حاتم"

_ماذا؟ حذرته بالطبع يا "حاتم" أن يعرفني...أفهمته أنني لا أستطيع أن أحب.. إن أراد هو فعليه أن يحصل على قلبي .. لا تنظر إليّ هكذا! أنا بقايا امرأة. صدقني..هذا القلـــب الـــصغير الذي تنظر إليه، احترق كشهاب .. وانطفأ، وذل، وانكـــسر، ودُهس..فلا تطلب مني أن أكون رقيقة..أو متفهمـــة. أنـــا لم يتفهمني أحد. فعليكم اللعنة جميعًا إن لمتموني.. أنـــت وهـــو، وحتى "محمد".. الجميع عليكم ألف لعنة.

*****

_خطة نابليون لها شرط وحيد! هو أن يبقى خصمك جنوده أمام الملك دون حراك.

حركتان بالجنود..وحركة واحدة بالفيل وأخرى بالوزير.. والعكس.. ثم اقتلي الجندي الواقف في زاوية الملك وبعدها.. كش ..كش ملك!.

*****

_أيمكنني أن أشعل سيجارة أخرى؟ قلت لك لن يتحملها ذلك الطفل، فلم تفهمني..أحرقته كشهاب..لن تجد في النهاية إلا أنا يا "حاتم" ..ماذا؟ ارتبطت مرة أخرى.

*****

_انظري إلى القطع.. تأمليها! كم هي جميلة حينما ترقص القطع على طاولة الشطرنج! ترقص بحب..هي للأذكياء فقط! قلتها لك من قبل.. وحينما تقفي قبالتي أمام طاولة، علينا أن نعرف إن كنت أنا أذكى منك....أم أنت الأذكى!

*****

_أنا من البداية كنت بضيع وقت..فاهمنى ..

ولو مش فاهمنى..طظ.. إيه الجديد؟..عارف إيه أكبر ألم يا "حاتم"؟

إنك تحب واحدة للكل.. بالظبط ده ألعن ألم. ساعتها تبقى حمار!

أنا حمار يا "حاتم" ..حمار. هي من البداية واضـحة ..إيـه الفرق بينها وبين أي حاجة؟ إيه الفرق بينها وبين كولدير الميَّه ده؟..مفيش...ليه؟ لأن أي حد ممكن يشرب منه..سبيل يعـني ..صدقني. متبصش كده باستغراب! أيوه دي للكل...شـوية معايا وشوية مع "محمد" وشـوية مـع "يوسـف" و"أحمـد" "وأشرف" للكل صدقني .وبعدين مين قـال لـك إني أصـلاً بحبها..أنا بشرح لك بس.. أنت بقيت غريب ليه كده.

****

اليوم بداية الدورة..أراها في رداء بزهور جميلـة..وبنطـال جينز ضيق..وطرحتها بتلك الربطة العجيبة ...أنظر إلى جدول المباريات، فأندهش.. ما هذا؟ أنتِ تلاعبيني أنا! أنتِ ضـدي في الجدول..ههههههههههههههههههههههههههه!

فلتـضحكي أيتـها الأقـدار ولتمطـريني بـسخريتك المفرطة..سوف أعلمك يا سيدتي الآن .. والآن فقط .. سوف تتعلمين أول دروسي بحق!

****

ـ لم ألقنك درس الدهاء في الشطرنج بعد..هه ..الـدهاء في لعبة الشطرنج.أن تدعى خصمك يهاجم وأنت تبـدين لـه

الضعف...ولا مانع من أن تضحي بجندي أو خيل أو قلعة ..لا تفرطي في الفيل فهو عادة ما يكون ضربة قاضية!! لا تعـــرفين لماذا؟..سأشرح لك ..نشوة فرحه بـــطعمك ستـــضعف مـــن أدائه...لعدة أسباب.

*****

في اليوم السابق أصرت أن تغير في الجـــداول.. لابـــد أن تلاعبه..شهور تتمرن..تعرف أنه الأفضل..تعلم ذلك ..الجميع يخبرها...بطل الجمهورية الأسبق ..الأستاذ ..الرائع..الـــراقص على الرقعة..لم يترك أحدًا إلا وهزمه..ترك اللعبـــة لـــسبب لا يعلمه أحد..حسنا أيها الراقص ..سوف نرقص غدًا ســـويًا.. حتى وإن كانت الرقصة الأخيرة.

*****

_أها.. الأسباب...انظري!

لو تأملته ستجدين أنه استترف كل تفكـــيره في اصـــطياد طعمك...بينما كنت أنت تختبرين ذكاءه...وجعلتـــه يخـــوض انتصارًا وقتيًا ...بينما عرفت أنت طريقة هجومه .. في حين أنه لم يفهم طريقة هجومك بعد!

وبقي سببان ..انظري إلى الطاولة!

*****

ترصين قطعك بمهارة ويسر..تنظرين في عيني مباشـــرة .. همسين بكلمة بدون صوت .. ماذا؟ .. فلنرقص!!

*****

حين تهزمين فان انتصاراته البسيطة ستجعله يقـــارن بـــين البداية (وأنت بكامل قوتك) والوقت الحالي (بعدما خـــسرت أنت) فيؤمن حينها أنك أضعف منه...وسيهبط مستواه رغمًا عنه ...

*****

أرأيت من قبل عينين سوداوين بأكملهما.."يخـــرب بيـــت عيونك ...يا عليا".."يا عليا شو حلـــوين"...يخـــرب بيـــت كده..أغمض عيوني لألتقط أنفاسي..وأفكر في الطاولة وأنـــا مغمض ..هناك سيقف الوزير أليس كـــذلك؟ ..أســـتطيع أن أهزمك بحركتين ..بأربع..انتظري سأنصب على الهواء منـــصة ...سأدفعك لأن تحركي الوزير.. بالفعل هو مصدر قوة بالنسبة لك، ولكن إن فقدته يصبح النصر بالنسبة للاعبة حديثة مثلك ضربًا من الخيال، وستخسرين بعدها مزيدًا مـــن حجارتـــك، تضحية لإبقاء على الملك..للأسف سأجعلك تفقدين الـــوزير وبعد أن تفقديه، سأجعلك تحركين حجارتك رغمًـــا عنـــك حسب ما أريد وبذلك ستتوالى الخسائر مـــن جهتـــك... وفى النهاية ستسأليني ماذا أريد وقد أتيت على معظم حجارتك!!

توقعي أي شيء ..توقعي أني أبحث عن نهاية جميلة، فبالنسبة لي، بعد أن تسليت معك كثيرًا، يحق لي أن أبحث عن تلك النهاية التي تُرضي غروري.. ألا يحق لي؟... وبعدها سأنظر في عيونك الحزينة ..وأقولها لك وقد شارفت اللعبة على الانتهاء: كيف تريدين نهايتك، وعلى يد من؟! على يد (القلعة) أم (الحصان)؟ هل ستصدقين إذا قلت لك أنني أستطيع قتلك بأحد(الجنود)؟! أضعف عناصر النصر لدي !! قمة السخرية! أعلم ذلك.

ولكنني بدأت أشعر بالملل.. فقد بدت لي اللعبة سخيفة جدًا.. لذلك سأنهيها بطريقتي.. تنتزعك من أحلامك انتزاعًا.

_أستاذ باهر ...

_أيوه..

_ابدأ.. الأبيض بيبدأ..إنت نسيت؟..تبتسم..

*****

أنا لا ألعب سوف أخوض جولة للفرجة..هناك الحصان والآخر....تحركين الجنود أمام الفيلة ...ههههههههه

فليبدأ الرقص...

*****

في عقلها كان صوته يتردد.

.هي أبسط وأسهل خطط الشطرنج..ولا تـــصلح لهزيمـــة محترف.

لو أبقى خصمك جنوده أمامه فقط.. لو أبقاهم..حركتان بالجنود، وحركة واحدة بالفيل وأخرى بـــالوزير..والعكـــس. ثم اقتلي الجندي الواقف في زاوية الملك..وبعدها كش ..كـــش ملك!

*****

تحـــركين الفيـــل بحـــذر ..حـــسنا وهـــاك فيلـــك .. فليسقط...تبتسمين وتخرجين الوزير..حـــسنًا بالـــضبط هـــي دقيقة...

*****

آخر قاعدة يا عزيزتي في لعبة الدهاء، أنه إن أحس بالثقـــة فقد انسكب....وأنت الوعاء الذي احتواه....فحتمًـــا أنـــت المسيطرة!!

*****

_دكتور محمد ..دكتور محمد..

_أيوه يا إبراهيم ..

_أستاذ شادي مستني حضرتك وبيسأل عن صحة أخوه.

_ماشي.. أنا رايح له..

ـأهلا يا أستاذ شادي ..

ـطمني يا دكتور..

ـمفيش..حالة الغيبوبة مستقرة ...

ـأنا بقى لي فترة واقف وإشارات المخ بتتحـــرك بـــسرعة وبترجع تهدى.

ـمحدش عارف إيه اللي في مخه يا شادي ..بيفكر في إيـــه.. أو بيحلم بإيه.. أو عايش في قصة إيه.. محدش يعرف.. ربنـــا بس اللي يعلم.

*****

عندما كانوا ينظرون إلى "باهر" من خلف الزجاج .. كان هو ينظر في عيني حبيبته التخيلية..ويجلس بجانبه "حاتم" صديقه منذ الطفولة الذي لم يوجد...وهي تنتصر عليـــه ..وتقولهـــا بمساعدة خطة نابليون البسيطة..

كش ملك!

رسالة من أنثى

"إنما النساء شقائق الرجال..ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم"

(حديث شريف)

رسالة من امرأة حمقاء

يا سيدي العزيز هذا خطاب امرأة حمقاء .. هل كتبت إليك قبلي امرأة حمقاء؟ .. اسمي أنا ؟

دعنا من الأسماء.. رانية أم زينب أم هند أم هيفاء.. أسخف ما نحمله ـــ يا سيدي ـــ الأسماء!

"نزار قباني" ...

***

ـهل شعرت يومًا بأنك منتهك؟! .. نعم، أشعرت بأنـــك تمشي عاريًا وسط الجميع؟! .. أعرف أنك –كرجل– تعودت على سياسة الاختراق، لا الانتهاك.. لـــذلك تفـــتح فمـــك بدهشة..اسمعني فقط ولا تقاطعني يا سيدي..

أنت تعرف أنني انتقلت للعيش في القاهرة منذ شهور قليلة.. وتعلم أيضًا أنني لست بالسافرة..وأنـــي أدرك أحكـــام ديـــني جيدًا..وأعرف قدر نفسي.

ولكني منذ جئت، وأنا أشعر بأني مشوشة فكريًا للغايـــة.. مشوشة حتى في علاقتي مع جسدي...

قبل أن تبدأ لا تحدثني عن قوانين المجتمع والفكـــر الغريـــب بأنني إن سترتُ نفسي فسوف يقيني هذا شـــر المـــضايقات.. فالذي أراه الآن لا يمت لأي قوانين أو أديان بصلة!!

أتعلم أنني - لأول مرة في حياتي- أتجرع كل ذلك الكم من الفكر الذكوري المتعصب للغاية والرافض لوجود المرأة.

منذ سنوات.. كنت أعرف المعادلة الخاطئـــة هـــا هنـــا، وأحفظها .. المعادلة القديمة ..المحجبة هي الفاضلة والسافرة هي الساقطة..

إلا أن ذلك تغير الآن! فالجميع أصبحن ساقطات....صدقني الأمر مؤلم للغاية!

أنت لا تتخيل كمَّ الشعور بالمهانة الـــذي أتعـــرض لهـــا يوميًا..لمروري في وسط البلد.. أشعر أن نظـــراتهم تلمـــسني وتعريني ..أصبحت أكره جسدي وأكـــره كـــوني أنثـــى... تبتسم...أنت لا تعرف يا صديقي العزيز ماذا لاقيـــت حـــين حاولت أن أمشي على قدمي في وسط البلـــد! ..حـــتى الآن أتساءل ولا أجد إجابة!

سؤال واحد يؤرق نومي: ما الذي دفع كل تلك الكمية من الذكور وأشباه الرجال إلى التصرف تجاهي وتجاه أخريات بكل تلك العدائية، ذات الدلائل الجنسية القذرة ؟!

***

فشرقكم يا سيدي العزيز يحاصر المرأة بالحراب، ييايع الرجال أنبياء، ويطمر النساء في التراب.

لا تترعج يا سيدي العزيز من سطوري! لا تترعج إذا كسرت القمقم المسدود من عصور.. إذا نزعت خاتم الرصاص عن ضميري، إذا أنا هربت من أقبية الحريم في القصور، إذا تمردت على موتي، على قبري، على جذوري.. و المسخ الكبير.. لا تترعج يا سيدي إذا أنا كشفت عن شعوري.. فالرجل الشرقي لا يهتم بالشعر و لا الشعور!

***

أتعرف حينما أتيت القاهرة لأول مرة، حذرني صديق من المشي منفردة، مازلت أذكر عبارته القاسية: "هنا مش كندا دي مصر" ولكني لم أعر كلماته أهمية..كنت مخطئة، اعتدت قديمًا في زيارتي أن أرى شبابًا يعبِّرون عن آرائهم بالتصفيق، أو حتى بالتعليق باللفظ أو بالنظر إعجابًا..كنت أعرف أن القانون هنا –غالبًا– يمنعهم من خدش الحياء العام...ويمنعهم من أن يتعرضوا للإناث من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن أخلاقهم

وقيمهم تمنعهم ... ولكن في زيارتي الأخيرة تلك، علمت أن القانون ليس رادعًا لهم ولا

أخلاقهم أيضا..وما لفت نظري بشدة، هو الأعداد الكثيرة لأشباه المحجبات.. تبتسم مرة أخرى يا سيدي!!

الحجاب زى لا يسعني إلا أن أحترمه، وأدعو الله أن يرزقني اتباعه بالطريقة الصحيحة.. ولكن ما يحدث هنا هو تهريج.. سمه رقصًا على الحبال، سمه ما تشاء.. ولكن هذا لا يمكن أن يكون حجابًا، ولا التزامًا، ولا أي شيء ...من زمن والمجتمع الذكوري هنا قد نجح في أن يتوصل إلى معادلة غريبة للغاية لا أدّعي فهمها..المعادلة هي أن تربط الحجاب بالانحلال الأخلاقي...

لم تفهم كلماتي؟.. سأشرح لك ..أعني أنكم قد وضعتم رمزًا، وهو الحجاب، وهو -مع احترامي- رداء خارجي، وصنعتم من الرمز - الحجاب- دليلاً وبرهانًا على الفضيلة.. وكنتيجة طبيعية، ستصير التي بدون هذا الرمز، ساقطةً أو على أقل تقدير لا تمت للفضيلة والشرف بصلة..لا أعلم كيف عدتم بنا إلى ما قبل "الإسلام"..بجاهلية موجودة تحت قناع التسامح والعقلانية.. جاهلية ترفض الآخر بدون سماع منطقه.

تخيل أن أستاذًا جامعيًا بشوشًا دائم التحدث عن القيم، رفض أن يتحدث معي؟!، بل اتهمني بالهرطقة والإلحاد، لمجرد أني اختلفت معه في الرأي!!.. معذرة، أي رأي آخر يقابل بالتكفير والعدوانية والرفض هكذا بكل بساطة!!

***

معذرة .. معذرة يا سيدي إذا تطاولت على مملكة الرجال.. الأدب الكبير ـــ طبعًا ـــ أدب الرجال.. والحب كان دائمًا من حصة الرجال!

***

وما يحدث في وضع كهذا، أنك تصبح في صراع طوال الوقت، وتعمل جاهدًا للإبقاء على وجودك الإنساني في وسط الصراع، لكل فرد طريقته في مواجهة الصراع، فالبعض يبتسم والبعض يستسلم ..والبعض يقاوم.

ولكني - حينما وصلت إلى تلك المرحلة من التفكير- اكتشفت أنني أصبحت فيما يشبه الانطواء، لا أطيق مغادرة عربتي أو شقتي.. بل إني أغلق باب المكتب حتى وأنا أدري أنني في مكتبي الخاص... تنازلت عن هوايتي الصباحية!!

انتابني إحباط نسائي قومي...تساءلت كيف يمكن لـــذلك الشباب أن يصير يوما شعبًا حرًا..مادامت تستعبده الأكاذيـــب وتسيره العنصرية وصيحة التكفير هذه؟

بكل بساطة، الفضيلة مقابل البغاء، وكأنما الـــصورة بهـــذه السطحية.

ثم كيف يتكلمون بآيات الله ثم يخالفون كل ما جاء فيها !!

عن أي دين يتحدثون وهم من يدمرون كـــل قواعـــده؟! وكيف تستغفر الله صـــباحًا ثم تفعـــل الفعـــل ذات نفـــسه مساءً!!..أتعرف يا سيدي حتى في رمـــضان، ذلـــك الـــشهر الجليل..كان زوج صديقتي يدخن جهرًا بالنهار...ثم يوبخهـــا للغاية إن تأخرت عن دروس الدين، ويحدثها بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في أن تراعي بيتها وأن تسجد لزوجها بعد الله، وهو الذي لا يقيم الصلاة أصلاً!!

عن أي دين نتحدث هاهنا! أعن الإسلام" أعظـــم أديـــان الأرض؟!

أعن رسول الله صلى الله عليه وســـلم الـــذي أوصـــاكم بالقوارير؟!

أعن القرآن الكريم الذي أمركم بغض بصركم.. ولـــيس أن تحملقوا للغاية بسبب أو بـــدون..وفي الجميـــع.. في الـــسافرة والساقطة.. بل وفى المحجبة والمنقبة أيضًا.. بحجة أنهـــم تحـــت النقاب!! و..و...؟!!

وكان الله قد خص ذلك الحشاش ...لا تبتسم فأنت تـــثير غضبى بابتسامتك الهادئة تلك...

صدقني لا يمكن أن تطلق عليه غير ذلك.. قـــد خـــصه الله بالحكمة ليرى أنها... وأنها.... حتى من تحت النقاب..ثم مـــن قال إن الدين الإسلامي قد همّش دور المرأة، وأنه لا مكان لها، وأنها يجب أن تلاقى بكل هذا الرفض الفكري، فقط لأنها أنثى ..ثم كيف يمكن أن يتحدث كل هؤلاء عن التحرير وتحطـــيم الأعداء في إسرائيل وخلافه، وتحرير أنفـــسهم مـــن حكومـــة تقمعهم أكثر. وكيف يمكن أن تتخيل أن ينجو من الاستعمار والذل، ماداموا هم أنفـــسهم يمارســـون العنـــصرية والـــذل والاستعمار لأهليهم، وأبناء بلدهم أنفـــسهم، فقـــط لأنهـــم مختلفون...كيف سيصيرون شعوبًا مستقلة؟!!

أي العلاقات تلك التي سوف تحكمهم!...ينـــادون بـــأن يحكمنا الإسلام.

ألا يا ليت ذلك يحدث! ولكن عن أي إسلام نتحدث هنا!! عن إسلام المصطفى صلى الله عليه وســـلم وهديـــه، أم عـــن

"إسلام" شيوخ لا يدرون سوى أحكام العلاقـات الزوجيـة وأحكام المرأة الحائض..والرجل الجُنب!!

فكرت طويلاً يا سيدي في العودة لـبلادي الأصـلية..لا تتعجب من ذلك اللفظ! فهنا أنا سأعيش إرهابًا أبـديًا لأن الله خلقني بهذا الجسد .. حتى وإن لفقته بألف ألف نقاب وألـف ألف حجاب!

حتى وإن التزمت بالزى الإسلامي الذي ألتزم بـه قبـل أن أعرفهم وقبل أن أسمع كل ذلك الكم من الأشرطة، الذي أهدته لي أخت لا تعرفني في المسجد، وهي تحدثني بأني أغـضب الله تعالى لأني مبتسمة دائمًا! ونسيت بأن تبسمك في وجه أخيك صدقة .. وهو ما ردت به عليها أخت منقبة أخرى.

وجدت فيها تفهما ووعيًا .. يا سيدي أنا قررت أن أعـود لبلاد فيها إسلام بلا مسلمين .. وأترك بلادًا تعيش بمسلمين بلا إسلام!

***

خرافةٌ حرية النساء في بلادنا

فليس من حرية أخرى، سوى حرية الرجال يا سيدي

قل ما تريده عني، فلن أبالي

سطحية، غبية، مجنونة، بلهاء، فلم أعد أبالي، لأن من تكتب عن همومها .. في منطق الرجال امرأة حمقاء وأنا امرأة حمقاء.

***

لا تعليق....

البديل

"أيتها الدمية ..سامحك الله

إني أحبك حتى الآن ...حتى بعد أن وضعتُك في مصاف الدمى

ولكن إلى متى يدوم حب الدمى"

" يوسف السباعي"

ـــيا سيدتي أنا أحبك حقًا ولكن لن يصلح لي ذلك الـــدور صدقيني لست رجلك

ــ كريم افهم ول......

ـــيا سيدتي بالله..اسمعيني...

ـــاهدأ من فضلك..

ـــأنا هادئ فقط اسمعيني

ـــكل ما أطلبه هو فرصة للشرح و.... ...

قاطعتها بغضب:

ـــأنا لا أصلح لكِ بديلاً.. ذلك الشعور يمزقني من الوريـــد إلى الوريد!

***

استريحي ليس للدور بقيّة

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحي زيف المساحيق ولا ترتدي تلك المسوح المريمية

واكشفي البسمة عمّا تحتها من حنين.. واشتهاء .. وخطيّه

كنت يومًا فتنة قدستها

كنتِ يومًا ظمأ القلب .. وريِّه..(أمل دنقل)

***

كنت دائمًا في الركن المظلم، أتعلم ذلك الركن الذي يغطِّيه الظل بالكامل في الصور؟ دائمًا كان مكاني ذلك الـــركن.. لم أكن أعني لها إلا حائط الصد الأخير، جدار المبكـــى لقلبـــها.. دائمًا ما كنت أقوم بذلك الدور لها بدون أن تعلم أو أعلـــم، كنت دائمًا من أجلها هناك.. إلى أن احتلت أرضي بالتدريج.. الاقتراب منها ألقى على قلبي اللعنة.. بالرغم من تملّك السحر من قلبي وتغلغل في شراييني إلى الأعمق، وهي.. هـــي كانـــت مختلفة منذ البداية، كانت أنثى.. لا تعرف ما الفارق بين الأنثى وباقي النساء، سأنبئك بما لم تحط به علمًا... الأنثى هي مـــن تجعلك رجلاً بحق.. بل تجبرك وتعلمك كيف تـــصير رجـــلاً، فتعبر الجبال وتحطم المستحيل نفسه.. رسم الله في عينيها جمالاً، من ذلك الذي ينتقل منها إلى كل الأشياء، فتراها معها أجمل.. وأنا، أنا أحببتها منذ البداية.

***

ـــإنت شفتها إمبارح

ـــ مين؟

ـــ"سارة"

ـــآه.. شفتها.. وسألت عليك صحيح...

أشعل سيجارته وقاطعك وهو ينظر في عينيك.

ـــإنت عايزها يا "كريم"

ـــيعني إيه عايزها يا "إسلام" مش فاهم؟

ـــلا فاهم إنت صاحبي وفاهمني، أنا عارف إنك بتحبها.. باين في عينيك وفي كلامك عليها.. إنت عارف إن علاقتنا تقريبًا انتهت..لو حبيت تصاحبها.. أنا مش همانع خالص.

صمت للحظة وقلت:

ـــ"إسلام" عايزنا نفضل أصحاب ؟

ـــنعم ؟؟

ـــمتتكلمش في الموضوع ده تاني لو سمحت..ومتجبش سيرتها بالطريقة دي تاني.

***

القدر له سخرية غريبة في توزيع الأدوار.. ومن عجائب سخريته أنه يجبرك على أن تلعبها بطريقة مختلفة.. جعلني أستمع لكل من الطرفين في صمت وأبتلع مشاعري مع صمتي بابتسامة.. كان عليَّ أن أسمع رأى "إسلام" الصريح فيها..هو ببساطة يراها عادية، واحدة يا كريم مالها يعني واحدة بوقتها.. وعليَّ أن أسمع منها كلمات افتتانها برجولة "إسلام"..وأناقشها فيما تراه بغصة في حلقي.. الوقت كفيل بأن يعلمك كيف تكتم ما بقلبك بقلبك.. وجرعات الألم بالتدريج ستصبح إدمانًا للوجع واشتياقًا للألم، حينها يصبح جلد الذات وتعذيبها هو الشعور المسيطر.. حينما كانت تفضحني عيوني بالوجع، حينها كانت بخبرة أنثى محنكة في فن الكلمات وفى رسم المشاعر والأحرف والوجع، تبرر كلماتها وتنطق كلماتها وهى تضغط على مقاطع خروج الأحرف بقوة تدمر ما بقى في قلبي من قوة بأننا أصدقاء.. كثيرًا ما سخرت من كلمة أصدقاء تلك.. الجميع وهي في مقدمتهم علمت أنني أحبها... حينما كانت تستشيرني في علاقتها المتشابكة، كنت أهاجمها كثيرًا في صورة النصيحة، أنفث عن غيرتي المكبوتة بدون قصد، أوبخها إن أخطأت، تعلو نبرة صوتي وتزداد حدة كلماتي.. وهي.. هي كانت تستمع لكلماتي بصمت وبتفهم وأحيانًا وباستمتاع أحيانًا.. لماذا؟.. بالطبع لأننا أصدقاء!! المثير للدهشة، أنها دائمًا

مع كل قصة حب تنهيها... كانــت تلجــأ إليّ لتبكــي في حضرتي.. لتشرح لي بالتفاصيل الدقيقة كل شيء.. همــسات العشاق لأذنيها.. كلمات الحب الدافئة التي تفتقــدها الآن... لمعة عيون فلان أو علان..وكان علــيَّ أن أســتمع –فقــط– بصمت.. أستمع.. وروحي تكــسر أضــلعي مــن الشــورة وتسحقني.. وأنا أبتسم في عيونها..أبتسم وأتألم وأستمع!

***

لم تكوني أبدًا لي

إنما كنتِ للحب الذي من سنتين قطف التفاحتين الحلوتين

ثم ألقى ببقايا القشرتين

وبكى قلبك حزنًا فغدا دمعةً حمراء بين الرئتين

وأنا.. قلبي منديل هوى جففت عيناك فيه دمعتين

ومحت فيه طلاء الشفتين ولَوَّثه ..في ارتعاشات اليدين.

***

بعد أن تركها "إسلام" بعقلها تساءلت عمن يــصلح لهــا زوجًا.. الأمر الآن لم يعد للحب أي دخل فيه، وهي لم تحــب أحدًا فيهم من الأساس، وإن كانت تفضل "إسلام".. ولكــن في الزواج، الأمر سيختلف حتمًا..هي تكبر يومًا عن الآخــر

صحيح أنها لا تزال في ريعان شبابها، ولكـــن تلـــك الجـــذوة المقدسة لنار شبابها ستخبو حتمًا، وستحتاج إلى مـــن يرعـــى نيرانها الدافئة ويبارك انتقال النار على اســـتحياء في خريـــف عمرها، حسنًا تلك هي ورقتك يا "إسلام" يمكن دائمًـــا عـــن طريق "كريم" صديقه أن... لحظة، "كريم"..!!. لماذا لم تفكري به من قبل، يا للغباء إن كنتِ ستبحثين عن زوج فمن يـــصلح مثل "كريم"؟.. خجول وصامت، صامت؟.. لكنه ينطـــق في حضرتك حتى وإن لم ينطق بلسانه، فعيناه تفعـــلان.. ولكـــن "كريم" صديق؟.

هراء من يؤمن بالصداقة بين الرجال والنـــساء!.. خاصـــة حينما تلمع عيونهم بالنشوة في حضرة بعضهم البعض.. حسنًا تلك هي ورقتك يا "كريم"... فلنبدأ.. رقمه علـــى هاتفـــك، تطلبينه بثقة ليجيب بفرحة:

ـــآلو

ـــعارف إنك وحشتني

ـــإيه!

ـــوحشتني وحشتني يا "كريم"

ـــربنا يكرمك

ـــينفع أشوفك النهارده

_آه أكيد هظبط و...

تقاطعينه بقوة وبإصرار:

_لا متظبتش أنا هشوفك النهارده.

حينما نظرتِ في عينيه .. رأيتِ أعماقه.. دعك مما تقول.. أستطيع أن أسمع صدى الصوت في أعماق قلبك السحيقة.. أستطيع أن أسمع ذلك الصوت يرد على كلماتي، بأنك تعشقني يا "كريم"، ليس حبًا فقط، أنا أرى ذلك وأسمعه.. حسنًا.. ترى ما لون الفستان الذي سأرتديه في خطبتنا...!!؟

***

ونحن نعبر الطريق كادت أن تسقط، التقطتها بذراعي، لمستها، ارتعش لها جسدي وتفتتت روحي، لا أعلم لم تؤثر في قلبي ملامستها إلى تلك الدرجة!.. لم أتحطم إلى ألف قطعة مثل البلورة إذا نظرت في بحار عينيها... درج مكتبي ازدحم برسائل حبها، برسائل لم ترسل قط! أحيانا كنت أغمض عيوني وأتخيل أني أراقصها وهى ترقص بين ذراعي، أتخيل أنى أنظر في عيونها وأصمت في رهبة.. وكثيرًا ما كنت أعاتب نفسي وألومها لصمتي .. لم لا أحاول؟؟.. لم أتحطم هكذا!!.. هي فقط تريد منك أن تبدأ خطوتك الأولى.. أبدأ.. لا تراجع الآن، سوف

تنجح.. همست لك بأنها اشتاقت إليك وأتت من أجلك.. إنها خطوتك الآن.. اليوم سوف أقولها.. ارتديت أبهى ما تملـــك، بنقودك القليلة اشتريت لها قطةً صغيرة، هي تعـــشق القطـــط وتكره الورود، إنك تحفظ ما تحب وتعشق ما تعـــشق لأنهـــا ..لأنها هي.

***

_عايز أقولك حاجة.

_قول.

_أنا ..أنا بحبك.

نظرت في عينيه وبمنتهى القوة نطقتها.

_عارفة

***

كان ماضيك جدارًا فاصلاً بيننا

كان ظلالاً شَبحيه.. فاستريحي ليس للدور بقيه!

***

يومًا فيوم كانت تدخلك عالمها الممتلئ بالأشياء الجميلـــة.. هي تعلم جيدًا كيف تسيطر على قلبك!

وتجعلك تخطو في الطريق الذي تريده.. أنت الآن تــذوب وهى التي تذيبك بصبر وبتأنٍ وباحتراف.. سألتك يومًــا: مــا أسوأ شيء قد يحدث في قصتنا؟... تبسمت وصــمت قلــيلا وأجبتها بدون قصد:

_أن أحبك أكثر من ذلك.. هذا هو أسوأ ما قد يحــدث.. صدقيني.

***

_مش بتشوف "كريم" يا "أحمد"

_لا خالص، من ساعة ما بقى مع "سارة" ومحدش بيشوفه!

تلتفت إليه:

_بقى مع مين بتقول؟

_"سارة" يا سمسم.. "سارة مجدي".

_ههههه.. الواد ده ندل.. بيقعد فين طيب؟

_بص فيه سكشن كمان نص ساعة يبقى هو أكيد في "أون ذا رن" لأن ميعادنا نتقابل هناك.

_ماشى يلا هنخدك معايا في العربية ..

عندما رأيته أخذته بالحضن، لا مكان لسلام باليــد هنــا، افتقدته بحق.. أحسست في عينيه بخجل غريب وهـــروب.. لم تشأ أن تتحدث أمام "أحمد".. انتظرت عندما ذهب ليطلـــب قهوته..

_كده يا ندل.. مش قلت لك من الأول؟

_قلت لي إيه؟

_قلت لك لو عايزها مش هعزَّها عليك.

_"إسلام" لو سمحت بلاش الأسلوب ده!

_أسلوب إيه يا كريم؟ فــوق بقــى ..دى واحــدة زى السيجارة دي.. شايفها؟..لما تخلص ترمي كده ويداس عليهــا عشان الولعة تتطفي!!

رأيته وهو يقفز نحوك ويوجه إلي وجهك لكمة.. بغــضب تلقائي كدت أن ترفع يدك لتحطم وجهه، ولكنك لم تستطع.. كيف تدمر صداقة استمرت عمرًا بأكمله؟!.. حجمك ضعف حجمه ولكمة مماثلة ستترك في وجهه علامة.. فقــط وقفــت ونفضت التراب من على ملابسك ونظرت إليه وهو يرحل في صمت!

***

ـــإنتي بتحبيه يا "سارة"؟

ــ"إسلام"

ــلا "كريم"

ــ"كريم" .."كريم" حد جميل يا ندى بس مش عارفة مش حسَّاه أوي بس أكيد بعد الخطوبة ها..!

تقاطعك بدهشة:

ــمش حسَّاه!! ..خطوبة ليه طيب؟؟.. الواد ده بيحبك بجد يا "سارة"

ـــيا سلام..

تقولها دون اهتمام..

ــلا بجد..إنتي معرفتيش إنه ضرب "إسلام" عشانك

ــنعم .. بجد؟ "إسلام" حصل له حاجة؟

نظرت صديقتها إليها بدهشة لم تستطع أن تداريها:

ــلا محصلهوش.. "إسلام" أصلاً مرضيش يكلمه.. ســابه ومشي.

ــشفتي الفرق بقى؟

***

كنت تشعر بالحيرة وبالغضب وبالندم بعد ما حدث بينك وبين "إسلام"، الأمر لم يكن يحتمل أن تمد يدك عليه..أنت تحتاج إلى أن تهرب.. ولكن إلى أين؟.. حسنا رقمها ينير شاشتك وحبها ينير حياتك.

_صباح السكر يا جميل

_صباح النور يا كريم..هنخرج النهارده؟

_أكيد تحبي نتقابل فين؟

_جراند

_أنهي واحد؟

_جراند النزهة

_ماشي

لماذا ذلك المكان بالتحديد؟..أنت وهي تعلمان أنه مكان "إسلام" المفضل.. فلماذا اختارته.. لماذا وأنت في أول الطريق معها تذكرك بأشياء لا تود تذكرها.. لا يهم، سوف تجعلها تحبك، سوف تحمل الكون بكامله في راحتيك الصغيرتين لكي تختار أي النجوم سوف تزين به شعرها الساحر..عندما ذهبت وجدتها قد سبقتك.. لماذا تلك الأريكة بالتحديد؟.. أهي تتعمد أن تختار نفس الأشياء بتلك الدقة؟!.. يشعر أنه يرى "إسلام"

بعين الخيال يجلس فقط.. وأنت تحل محله حتى يعود، حاولت أن تخبئ شعورك، تحدثت وتحدثت، بغير قصد لمست يدها... فارتعشت يداك وابتعدت بيدها عن يدك في لحظة الملامسة .. ابتسمت، فقط هي تحتاج بعض الوقت لا شيء أكثر.. وأنت تتحدث وجدتها تستمع إليك بنصف اهتمام وعيناها تنظران إلى مدخل المكان.. نظرت معها لتجد صديقك القديم.."إسلام"

***

أينما نحن جلسنا ارتسمت صورة الآخر في الركن القصي

كنتِ تخشين من اللمسة أن تمحى لمسته في راحتي

وأحاديثك في الهمس معي إنما كانت إليه ..لا إليّ!

***

يومًا فيومًا بدأت تلاحظ أشياء لم تكن تراها من قبل.. لاحظت أنها فقط كانت تقترب منك دائمًا في لحظات ابتعاد الجميع عنها.. أنك لم تكن لها إلا دولاب الأسرار أو حائط المبكى في حين أنها لم تعرف قط ماذا أردت أنت أو ماذا أحببت... عندما كانت تفقد الجميع وخاصة أحبَّتها.. حينها وحينها فقط كانت تقترب منك أكثر وأكثر لتجدها تملأ الكون من حولك وحينما تعتاد عليها في لحظة مفاجئة تتركك

وحيدًا وتترك المساحة الخضراء التي تعــودت أن تـــشغلها في حياتك وتترك كل شيء خططتم له سويًا وترحل.. لماذا احترق بالشك وبعدم الثقة هكذا أهذا هو الحب... عـــن أي حـــب تتحدث وهي التي لا تنطقها أبدًا في حضرتك؟ تتذكر الآن أنها لم تكن ترد على كلمات حبك أو ترد باقتضاب كملكٍ تلقى تحت أقدامه غنائم الحرب بكل رضا... أأنت غبيٌّ لهذا الحـــد.. لماذا تصبر عليها إذا لم تلعب لعبة ترى نهايتها هـــي الخـــسارة المؤكدة.. لماذا تصعِّب على نفسك الأمر .. تذكر حديثك مع "أحمد" فهمت الآن ماذا كان يقصد بالإستبن!

_عارف إيه فايدة الإستبن يا "كريم"؟

_ آه ده عشان كاوتش العربية لو با..

يقاطعك:

_صح بس أنا أقصد في البشر

_مش فاهم!

_متلعبش دور مش دورك يا "كريم" إنت أكبر من كده.

_مش فاهمك برده

_بكره هتفهم

ربما عليك للحظة أن تتوقف وأن تنظر للموقف من بعيد.. كل ما كانت تريده هي، فترة نقاهة، مرحلة انتقالية ليس أكثر.. وأنت أديت الدور كما أرادت.. كلمة حبيبي أو وحشتني لا تنطق دائمًا بقصد.. لا صداقة حتى ما بينكم، كم مرة تحدثت معها فيما يؤلمك؟.. كم مرة استمعت هي!!.. دائمًا هي من يشكو فقط وعليك أن تستمع، هي حتى لا تذكر تاريخ ميلادك وأنت تذكر كل لحظة في حياتها.. لماذا تستمر إذا؟

***

كانت "سارة" الآن في حيرة من أمرها، "كريم" قد فاتحها في أمر خطوبتهما... وهي كل ما طلبته منه مدة لا تعلم لماذا..!!. وهي في الطريق طلبت رقمه، رقم "إسلام"... الشوق فقط هو ما جذبها إليه، كانت تريد أن تتحدث معه ولكنها وهي تتحدث تحدثت في كل شيء.. إلا في موضوع "كريم"، صرخت له: أحبك لا تتركني.. فاجأها تغيّر نبرة الحديث، احتقار "إسلام" لها وهي تتحدث عن "كريم" بسوء.. فاجأها بقوله: إن كريم صديقه الوحيد وسيظل كذلك مهما حدث وهي مجرد سيجارة.. التقط منها أنفاسًا ليرميها في قلب الطريق من نافذة عربته، لتدهسها الإقدام.

***

_عارفة إن "كريم" ده طيب أوى

_اشمعنى يعني؟

_كان فيه أجزاء كتيرة مش فاهمها في الشغل وشــرحها لي بمنتهى الأدب

_هو كده دايمًا مؤدب وخجول

_يا بختك!

_على إيه يعني؟

_أيوه طبعًا لأنه راجل بجد.. راجل مش زى بقية الغجــر اللي عرفتيهم!

_هههههههههههههههههههههههههههه

***

فاستريحي الآن لم يبق سوى حيرة السير على المفترقِ

كيف أقصيك عن النار وفى صدرِك الرغبة أن تحترقي ؟

كيف أدنيك من النهر وفى قلبك الخوف وذكرى الغرق

أنا أحببتك حقًا ..إنما لست أدري أنا ..أم أنت الضحية

فاستريحي . ليس للدور بقيه!

***

اليوم موعدهم... تأنق للغاية وهو ذاهب للقائها، كان قـــد انتوى أمرًا، ذهب وجلس في مواجهتها.. بـــدأت تتحـــدث وتتحدث وهو ينظر في عينيها:

ـــمالك؟

ـــمفيش ..

ـــبتبص كل شوية على موبايلك.

ـــمفيش مستني حد بس وأهو جه...

أمام عينيها المندهشة نطقت:

ـــ"إسلام"!

ـــــمالك مستغربة ليه؟

ـــلا بس

ـــبس إنتي نسيتي إننا أصحاب.. شبه بعض صح.. بيقولـــوا كده دايمًا.. عارفة؟.. اســـتغربت أوي لمـــا طلـــبتي مـــدة.. واستغربت أكتر لما كلمتيني الصبح وقلتي إنـــك مجنونـــة بيـــا وبتتمني أكون الراجل اللي يعيش معـــاكي بقيـــة حياتـــك... تفكيرك هايل.. عايزة تنتقمي من صورته فيا.. صح؟

ـــيا كريم

ـ يا سيدتي أنا أحبك.. أحبك حقًا ولكن لن يـصلح لي ذلك الدور صدقيني لست رجلك.

ـ كريم أفهم ول...

ـ يا سيدتي بالله ..اسمعيني

ـ اهدأ من فضلك..

ـ أنا هادئ فقط اسمعيني

ـ كل ما أطلبه هو فرصة للشرح و...

قاطعتها بغضب:

ـ أنا لا أصلح لكي بديلاً..ذلك الشعور يمزقني من الوريد إلى الوريد.. منذ اليوم الأول عرفت.. عرفـت وصـمتُّ، لم أطلب منك أي شيء بل كان كل ما أطلبه أن أظـل بجانبـك وحتى ذلك لم تعطني إياه!!.. كل ما فعلته هو إعطائي شـعورًا مزيفًا لقلب منكسر..ولم أرفض.. ولكن يا سيدتي عفوًا هنـا ينتهي دورك.. منذ البداية حذرتك.. إلا الكذب.. لـمَ لَـمْ تصدقيني؟.. لَمْ تسمعيني!! كل ما فعلته هو أن دمرتِ كل ما فعلته من أجلك فقط من أجل أن تنتصري

حينما هبطت منها دموع عينيها..التقط من أمامها مفاتيحه ورحل مع صديقه

ربما لأول مرة منذ عرفته شعرت بأن قلبها كـان ينـبض بحبه.. بحب كريم.

الفراشة

"هي قصة بدأت وانتهت.. وعلق بداخلها فقط الذكرى والألم"

"جزء من القصة"

مفتتح:

هي قصة بدأت وانتهت.. وعلق بداخلها فقــط الــذكرى والألم، وها هي رسائل تكتــب إليهــا ولا تــصل عينيهــا أبدًا..ولكنني أكتبها

****

وما ذنبي إن كان حبّك هو ما قدر لي!

وما ذنبي إن طعنك أحباؤك من قبلي!

وما ذنبي إن كنتِ لا تعرفين ماذا تريدين.. من الأساس!

وما ذنبي إن كان خطئي أن ما هو مباح لي.. محرّم عندك!

****

_عارفة إنتي شبه إيه؟

_امممممممممم إيه يا ترى..؟

_الفراشة.

ـبخاف منهم أوى على فكرة.

ـوأنا بحبهم أوى على فكرة.

****

ولدت حبيبتي في برج الجوزاء، هو برج هوائي أكثر ما يميزه أنه يمنح مع جنسيته الاهتمام الشديد بالتفاصيل وبالجمال والمظهر الخارجي.. برج يضفي على أصحابه الابتسامة الساحرة والفكر العميق والثقافة الهادئة.. برج يمنح لصاحبه حب الجمال والقدرة على منح الحنان والقسوة في آن واحد.. وعيناها قد ولدتا لتكونا قادرتين على غزو أعماقك بالدفء إن أرادت، أو جعلك تشعر بالثلوج تتكون على روحك فتصير كلوح من البلور، لا تريد.. لا تحس.. لا تشعر.. سوى بتشتتك كطفل فقد أمه في زحام المدينة.. قادرة على أن تلغى الحدود إن أرادت وترسمها إن أرادت.. منحها الله "الطلة" البهية والقدرة على أن تلقى على قلبك السحر في لحظات.. حسنا فلنتحدث عنها أو بلسانها وليلعب هو دوره إن أراد هو.. عن الحنين إليها أتحدث

****

أمن الممكن أن يترك أبطال مسرح حياتك المسرح فارغًا للحظات.. سأكون أنا الراوي والمخرج للأحدث وسأدمج

الواقع بالخيال ليصيرا قصة واحدة، سأبدأ من مرحلة التكون.. استعدي يا فراشتي الصغيرة فستبدئين الطيران الآن.

حينما نكون في فترة المراهقة نكون على استعداد لأن نحب أول شخص يصافحنا وهو يبتسم.. في هذه السن تصبح شبكية العين مستعدة لالتقاط أي شعاع ضوء، تصبح الأرواح أميل إلى التصديق بأن ما نراه أمامنا هو نصفنا الآخر.. هذا ليس حبًا.. حتى وإن تصورنا للحظات أنه الحب الأول والأخير، وأن ما بعده هو مجرد تصورات مملة، حتى وإن ألصقنا بمن كان يحبنا صفات أسطورية كفيلة بجعله" أخيلس" بطل "طروادة".. أو "هرقل" الذي حارب الجبابرة وحيدًا.. إنه نوع من أنواع النرجسية، هذا ليس حبًا إنما هو العثور على واحة في قلب الصحراء فنحن في فترة المراهقة نحب هربًا من الفراغ أو لكي نثبت لأنفسنا أننا قد تغيرنا.. لا مشكلة في كل هذا يحدث كثيرًا ولكن المشكلة أنها حينما لعبت معه لعبة العشاق لأول مرة.. حينما سمعت منه كلمات الحب لم يكن الزمان قد لقنها أول درس حتى.. لم تكن تعلم حينها أن الحياة مدرس قاس يعطى الامتحان أولاً ثم يشرح بعدها الدرس..كيف تنقل الطفلة إلى أنثى من دون أن تنتظر أن تصير حتى فتاة!! لم تكن حتى مراهقة كانت لا تزال طفلة وهو كان شابًا يافعًا.. من الطبيعي أن يصير الحلم والحب والفارس في آن واحد.. أن تكون أنت الأستاذ والحبيب والخائن والقاضي والجلاد والمتهم في آن واحد، هذا هو الجنون بعينه!

البدايات دائمًا مؤرقة... تريد أن أحكي لك عمن أكون.. تريد أنا أصير قصتك القادمة .. تريد أن يحتويني كتاب بسبعة جنيهات أو بعشرة لا أثق في حدوث ذلك ولكني سوف أحدثك.. عني أنا..أنا أنثى مصرية عادية للغاية، بعيوب ومميزات أنثى مصرية.. بوجه وملامح أنثى مصرية وبعقد أنثى مصرية أيضا.. قصتي كقصة صفاء أو سمر أو هدى أو أميرة أو سما أو غيرهم .. مالها قصة ككل قصة.. إلا أنها تختلف في أنها قصتي أنا.. فلنعترف بأن القدر ألعابه غالبا ما تكسر كل الاحتمالات.. صديق اليوم هو عدو الغد لذلك لا تعطى سرك لأحد.. سيقول لك أنه الرجل المنتظر ..وسيقول لك بأنه عشقك وأنه رأى العالم يتكون في بحور عينيك.. سيقولون كلامًا سيجبرك على التراجع عن قراراتك.. ولكن صدقيني.. جميعهم كاذبون.. لذلك عليكِ أن تتعلمي كيف ترقصين رقصة الحياة وتنظرين إليهم من عليائك.. بنظرة من نوعية "حسنا ومن تكونون أساسًا" هذا ليس غرورًا هذا هو سلوك القنفذ يا عزيزتي الصغيرة.. لا تقلقي أن لم تتقنيها، الزمان كفيل بجعلك تلعبينها بالطريقة الصعبة لتتعلمينها إن أراد.

أعود لقصتي حينما كنت صغيرة كان الجميع يتحدثون ويتحدثون وأنا لا أفهم من حديثهم إلا أن عيوهم كانت تتسع كلما زارتني أعينهم على فترات.. حتى أنني للحظات ظننت أن

في الأمر شيئًا ولكنني فيما بعد فهمت أن سر النظرات هو ما يسمى بالانبهار.. يقولون جميعهم بأنني أحمل جسد امرأة وقلب طفلة وروح أنثى.. لم أتعلم فنون الأنوثة قط ولكنني تعلمت كيف أتحدث! كيف تتلون الأحرف! فترتجف عين الرائي.. وأنا أنظر وأنتظر..كيف التقيته هو.. ألم أقل لك منذ البداية أن القصة نمطية وللغاية.. هو كان جارنًا من يسكن في العمارة المقابلة ..أحبني!! ..بالتأكيد أحبني..وأنا تنفسته، لم أحبه فخسب.. أتعرف أنني في البداية لم أحبه..صدقني كنت أخشاه كثيرًا..كنت طفلته ..وهو من علمني أبجديات العشق ..معه ومعه فحسب تعلمت كيف أنطق كلمة أحبك.. أوحشتني.. معه كنت أرتجف.. وأشعر بالأمان وبالخوف.. بالحزن.. أتعلم حتى الآن لازلت أتذكر لحظات حضوره المربكة كان يكفى أن يمر فقط لكي ترتجف يدي الصغيرة وأشعر بالدماء تغزو وجهي... كيف؟ ولماذا يحدث هذا؟ لا أدري.. ولكن سأجرب أن أشرح، أنا لا أعلم كيف.. ولكنني أعلم لماذا.. لأنني كنت أشم رائحة عطره، فتزلزلني لأرتجف في حضرته ..

***

كيف تتكون الفراشات.. سأنبئك ـــ فقط لا تفقد التركيز من فضلك ـــ أنا الراوي أعود لأخترق الأحداث حينما أشاء ..أتأمل فراشتي تحلق من حولك لتنبهر فأمد أصابعي لتستقر

عليها أو لتطير بعيدًا عني وعنك تلك هي قـوانين الحكايـة.. وعليك أن تتقبلها..أعود إلى الفراشات.. الفراشـات تتكـون بالتدريج، هي المثال الأوضح على إعجاز الله بالجمال .. فمـن دودة قز صغيرة إلى شرنقة تلتف هي نفسها لتغزلها بخيوط مـن الحرير إلى أن تفقد الأمل في تلك الشرنقة الغريبة فتعود لتغشى عينيك بالضوء لتهرب أو لتحترق.. هـو، ومـاذا عنـه؟... فلنتحدث عنه بلسانه لنتسلل إلى داخله ونرى كيـف يـرى الكون من منظاره.. ولما الكون معك حق كل ما يهمنا كيف وجد فراشتنا الصغيرة.. لتستعد أيها الـصديق فـالآن يـبدأ دورك.. لتهبط إلى خشبة المسرح.

النساء!!.. وماذا عنهم.. النساء هم زينة الحيـاة الـدنيا.. ههههههههههه.. لم تفهم القصة، الأصل هم المال والبنون.. ولكن إن دققت النظر ستجد أن المال يأتي ليذهب على النساء، والبنون يأتون منهن، لذلك يمكننا اختـصار متعـة العـالم في النساء.. هي.. هي من في حضرتها أكتمل.. لا تصدق، ومـا رأيك إن كنت أخشاها صدقني أخشاها كـثيرًا، في حـضرتها تتضاءل الحدود لتصير هي حدودي صحيح أنني أتألق حينمـا تصبح بجواري ولكن ذلك لا ينفي رعـبي مـن وجودهـا في حياتي، حينما تصبحين موجودة أسـتطيع أن أحلـق لألمـس السماوات، تنظفين أركان حياتي من غبار الفشل الذي يلتصق بأيامي، ولكن لا تنكر أن وجود أم واحدة يكفي..حسنا الملل

هو الشعور المسيطر.. المشكلة أنك أفضل من اللازم.. لماذا لا أتذوق باقي الزهور وأكتفي من رحيق العسل.. برحيق نحلة واحدة.. امرأة واحدة لا تكفي.. قسوة أن تكون صديقتها.. أوافقك الرأي ولكنها مصرة.. وأنا لا أملك أمام إصرار أنثى إلا أن أنهار.. أن أنهار وأرتشف من بحورها وأنهار وأسقط!

****

لا تتذكر هي ذلك اليوم جيدًا .. الضائع والخائف والمرسوم بالقلم الرصاص لا يملك الإرادة أو الذاكرة للأحداث، وهي كانت مثل كل هؤلاء كانت لا تزال طفلة لا تدري كيف انمحت الذاكرة لتترك في القلب ندبة لا تندمل كانت تحلق تشترى أشياء بسيطة من البائع أسفل مترلهم لربما يسعدها الحظ فترى عينيه قبل أن تصعد إلى غرفتها فتحتضن عينيه بداخل رموشها حينما شعرت بألم في أسفل رأسها فنظرت لتكتشف كم كان ساذجًا للغاية ذلك الذي نشر في العالم أن الخيانة هي مجرد ألم لا يحتمل.. الخيانة ليست ألمًا لا يحتمل.. الخيانة هي خنجر مغروس، قبل غرسه نقع بسم نفاذ، وغرس بالقلب من الجهتين.. حينها يصبح حب الألم متعة.. وفقدان الثقة بالنفس طبيعيًا.. وعدم الاطمئنان حرفة.. وميكانيزم الدفاع طريقة عيش.. مبدأ اللامبالاة هو المسيطر.. حينما ترى صديقتها

الصغيرة تتبختر بدلال وهى خارجة من منزله حتى أنها تعبر الطريق فقط لتريها عينيها الظافرتين... حينها وحينها فقط تفقد الطفلة أجمل ما فيها: براءتها وتفقد الأنثى الثقة بالعالم وتفتقد الحدود.. حينها وحينها فقط تؤمن بأن الخنجر قد غرس إلى الوريد.. وغاص في القلب إلى النصل.

****

موجع أن يكون هناك طفل حالمٌ صغير يحمل قلبه على يديه بحثًا عن شيء اسمه حب.. ويدرك أن الحب هو الوجه الآخر للعبث في قلوب الآخرين... وتقضي هي العمر في محاولة إنقاذ ما تبقى من الوهم.. وتعلمها الدنيا الدرس بالطريقة الصعبة لأول مرة وتهمس في أذنها أن القلب لن يغفر لمن نشروا شائعة الدفء في عيون لم تصر بريئة.. هم فعلوا هذا... وحقوق الألم لهم دون غيرهم محفوظة..

_مالك ...

_مفيش...

_ممكن تعيطي على فكرة

_مش عايزة ..

_طيب مالك..

_مفيش حاجة بجد... مفيش

ـعشان خاطري عيطي

ــوأعيط ليه مفيش حاجة تستاهل.. عادى كبرى

****

يجب على الأماكن أن تغير أسماءها لكي تطابق ما أصبحنا عليه.. لكم تغيرت الفراشة.. تغيرت بحق.. تلك الطفلة الصغيرة أصبحت امرأة صغيرة وجميلة.. الأنثى اكتملت.. سر الخالق قد ألقي عليها لتصبح إحدى مخلوقات إثارة الدهشة والبهجة.. ولكن عليها أن تقاوم طيفك والحنين إليك.. لم لا تكتب؟.. سوف تفتح لنفسها نافذة بعيدة تطل على العالم بكتابتها وبشخصيتها أمسكت قلمها وأورقها وكتبت أولى كتابتها وهى تبعد قطها الصغير بقدميها..

الآن سأكتب عنه فقط.. إنه هو !.. الحنين.. كنت أعرف مثلك تمامًا أن الأحلام التي نتمنى لها أن تموت.. هي تلك التي إذا تحقّقت اكتشفنا كم هي قبيحة... كان يتخللني.. و يتوه في صدري ..الحنين إليك كمجمرة لها الجمر ولي تعب الانتظار.. حسنًا سأعيد اجترار الذكريات و سأفسِّر لنفسي ما يوجعنا.. وإن حدث يومًا أن سألني قطي المدلل .. أهو من فعل هذا بقلبك؟!!..سأردد خلفه بغباء جميل: "صحيح لأن من فعلها هو أنت"!

وهى تكتب كلماتها بكت، تساءلت في حيرة . .لماذا يطل عليها طيفك الآن.. لماذا تصر على إفساد كل قصص حبها بوجودك المربك.. تقترب وحينما يحلو لك تبتعد.. أقُدِّر لي أن أقضي ما بقى من العمر في تقدم وتقهقر.. ومحاولات للعودة وللاقتراب.. وبعد أن تسأم هي من تكرار صورتك وطغيانها على كل قصص حبها وتدميرك لهم جميعًا.. تصر أن تنهي حالة التردد؟. لن تقف أمامك بعد الآن الطفلة الصغيرة فتمسك بيديها وتنطق: زعلانة، فتصرخ عيونها بالحب.. سوف تتغير لابد أن تعود الفراشة للتحليق.. سوف تحلق .. تحلق بعيدًا عن مدارك.

****

لماذا نطلق عليها فترة انتقالية.. لم لا نطلق عليها فترة نقاهة؟.. الحب مرض فلنتعرف بهذا وحبك أنت بالذات مرض ومرض قاتل أيضًا لذلك عليَّ أن أبحث عن علاج عن ترياق للسم الذي يجرى في نبضي ودمى المسمى باسمك ألتفت لأنظر من يصلح الجميع يريد علاقة جسدية فقط أو علاقة لإثبات الرجولة الجميع يريد تابعًا جميلاً وملفتًا ليس أكثر.. قالها لك صديق من قبل الرجال الذين يجلسون بجوارك تصيبهم عدوى الجاذبية ونيران التوهج إلى حضورهم..لا أحد يعلم أنك بحاجة إلى من ترمى أحمالك عليه لا أن يحملك أحمالاً زائدة.. لماذا

يدعى الجميع فهمه للمرأة في حين أنهم جميعا يفقدون أبسط قواعد منح الأمان.. من ستختار.. المحاولة لابد أن تكون ناجحة لن تحتملي الفشل مرة أخرى لذلك لابد أن ترتبطي بعلاقة ستستمر من يصلح من يصلح.."صلاح"!! الهادئ الجميل، كم الرقة هذا أليس غريبًا.. ثم أنك تحبني كما أنا.. وهذا هو ما ينقصني بحق، رجل يعشقني لفكري ويحترم تلك الأنثى بداخلي.. ماذا سأخسر أكثر مما خسرت؟.. فلنلعبها بطريقتك.. تذكر هي مكالمة صديقتها التي تنبأت لها بالندم.

_أنا ارتبطت بصلاح

_ إيه؟ ..بتهرجي صح؟

_لا بجد

_إنتي كده بتحرقي نفسك فاهمة.. إيه الهبل ده؟ ..براحتك إنتي مبتسمعيش كلام حد..

****

منذ البداية علمت أنها يمكن أن تخسر الكثير.. أكثر مما خسرت بكثير.. علمت أن كل ما فعلته معه كان محض غباء.. منذ أن تحول ذلك الكائن الرقيق الذي كان يتكلم على خلفية النيل... والذي أذهلها بأناقته وكرمه المبالغ فيهم إلى ذلك الكائن المتمثل أمامها.. حينما اشتمت الشهوة من بين رائحة

عرقه التي أصبحت لا تطيقها.. الذقن الحليقة نمت.. الرجل أصبح ذكرًا في لحظات.. الغريب أنه أصبح يتفنن في ذلها وفي محاولات تغييرها.. أليس هو الذي أقنعها منذ البداية أنه يريدها أن تكون كما هي عشقها حرة.... فلم يستمتع بإذلالها أمام أصدقائها الآن؟!.. المقربون منها لمحو ذبولها... لماذا يعود ذلك الكابوس الآن؟ لماذا تعود بكثرة إلى اللامكان.. وتحاصرها أشياء بلا هوية.. تتكاتف عليها لتصل إلى حالة القرب من الاختناق .. ثم تفيق لتجد أنه كان وهمًا.. أكان يجب أن تتحدث عن أمجادك في كل لحظة؟.. إنك تحطمني بحق.. كل ما أحتاجه للنجاة من كابوسك هو الإرادة..الإرادة لطرد ذلك الكائن الذي أصبح كل ما يمثله مرادفًا للغثيان.. بدأ من لمسته الشهوانية وعينيه اللتين تعريانك بقذارة غريبة.. مكالمتك التي تغتصب الكلمات وتنتهك عرض الحروف وتنهيدات الخلاص القذر.. أصبحت أشعر بالغثيان في كل مرة تتحدث فيها.. ولكن كيف.. كيف يمكنني أن أواجه كل هؤلاء حتى إن أردت الخلاص..

****

لماذا كان يجب أن أظهر أنا الآن.. الإجابة أنه كان من المحتم أن أظهر الآن أو لا أظهر للأبد... أنا الراوي كما تتذكرني..

الآن حان دوري في المسرح لذا فعلى الأبطال أن يفسحوا لي المجال.. سأرتدي الملابس الرسمية للحدث وأنت أيتها الطبول فلتدقي ثلاث دقات لمقدمي، ابدئي..

ربما علي أن أصفها ببيت شعر.. و لم.. لأنني أكتب الشعر كما ترى..همممم أصفك.. حسنا.. أيجب أن يكون شعرًا..لا لا يجب أليس كذلك حسنا لتكن جملة واحدة فحسب أصفك بها.. أفكارك والجنون وجهان لعملة واحدة وقلبي هو العملة الأخرى التي يتركها ظل عُملَتِك على الأرض.. الأمور يجب أن تحسب بمنطقية.. وبمنطقية يمكننا الحديث لا الاقتراب... لماذا؟

أن تحاول تحليل البشر فهذا ذكاء وأن تحاول مساعدتهم فهذا عطف.. وأن تحاول أن تفكر بعقولهم وأن تحبهم وأنت تفعل كل هذا فهذا هو الجنون، ولكن لنقترب ولنحاول أن نحلل أحداث حياتك بمنطقية ولأساعدك أن أردت.. من قال أني غير معجب بك؟..أنا؟.. من قال.. ولكن من يصدق الشعراء يا سيدتي.. ثم إني سأنساكِ بسهولة للغاية يكفيني أن أجعل أصابعي تقترب من بعضها وتبتعد لأنساك.. صدقيني.. ثم إني نسيت لون عينيك.. ولكن أن أردتِ سأخبرك بكم مرة تطرفان وهما تحدثاني.. فهكذا يصبح نصف الثلج....نارًا!!

****

لماذا أنت منطقي هكذا... تتحدث بصفة الطبيب النفسي المخضرم أنت تبلغ الأربعين على أقل تقدير.. هـا.. تحدثني كابنتك الصغيرة.. و لم لا؟.. سوف أريك أيها المغرور.. تريد أن تقترب و لم لا؟.. اقترب..

_إنت عندك كام سنة

_اشمعنى؟

_عادى سؤال

_ ٢٢.. أنا أكبر منك بشهر

_إيه؟!..

_زى ما سمعتي..

_تعرف إني افتكرتك كبير أوي عن كده؟

_ليه؟

_كلامك أسلوبك وكده

_يا شيخه..قولي كلام غير ده

_ههههههههههههههههه

أكنت تحتاجينه بالفعل ليخبرك بأنك حرة في تركسه؟!.. أم أن أرواحنا مقابس طاقة حينما تضعف يلزمها فقط مقبس آخر لكي تعود للاشتعال ..لا يهم، فلتضيفي التجربة إلى جدار الروح ..وها هو شرخ جديد يرقد إلى جوار زملائه، جرح

يترك أثره بطول الروح أو أكثر.. تنظرين إلى قلبك الصغير، تعب من كثرة الحروب والطعان التي تترك فيه آثارًا لا تُمحى للأبد.. ولكن تلك العاصفة التي أعقبت تركه تهز مركب حياتك بعنف ولكنك تركته وتحررت، فلم تكترثين للإشاعات التي يطلقها عليك أو الكلمات الصادمة التي تتلقينها.. إنك الآن تتنفسين و تضحكين من القلب.. ملعونة هي الدنيا إذا لم تعطنا ما أردنا.. وملعونة قلوبنا إن رضيت أن تحترق تحت أي مسمى.. ولكن لم يقترب منها الجميع بدعوى الحب الآن؟.. ماذا يريدون؟.. جسدها!!.. جلسة واحدة تجمعهم معها حتى يزول الفضول..حتى أنت أيها المتحذلق، الناثر للرعب والطمأنينة في آن واحد في أعماقي ماذا تريد مني ماذا وراء كلماتك المنمقة المنتقاة التي تقطر حنانًا... أتريد أن تخطو على الطريق مثلما خطى مَنْ قبلك؟ ماذا تريدون جميعا ألا إنكم لملعونون جميعًا!.. حتى أصدقاؤك يريدونك بالإجبار أن توصلي كل واحدة منهن إلى حياتها وتعودين وحيدة.. لماذا ينتظر الجميع منك أن تضحى وتمنحي.. وتمنحي وحينما تبكى وتترفي من ألم روحك فعليك أن تفعلينها وحيدة؟!!

****

في البداية كانت رؤية النيران ملهمة للفراشة فكانت تقترب بحذر ..ولكن شيئًا فشيء بدأ الحذر يتلاشى.. ليحل محله الفضول، بدأت في محاولتها للطيران بجانب النيران.. لماذا؟.. لأن الأسطورة هي أن تظل تحلق حتى تحترق.. لترقصي رقصة

أخرى يا فراشـــتي الجميلـــة.. ولترقـــصي بالـــشجن تلـــك المرة..ابدئي.

علاقات مكررة وأحداث مملة.. دائمًا ما كانـــت تتلاقـــى أعيننا قبل الآن ولكنني كنت أقف دائمًا على الحيـــاد ولكـــن خطوة وأخرى وجدتني أقف في مفترق الطريق بين مدينة الحزن ومدينة الشجن.. وكان على ألا أتردد.. الانتظار على المفترق لا يناسبني.. أنا امرأة يعز عليها الانتظار.. ويعز عليها أيضًا أن تعود لحظيرتك بعد كل تلك الليالي.. كنت قد قررت من زمن نزع ثوب الانتظار والانسلاخ مـــن جلـــدي والانغمـــاس في زحامهم .. زحام الآخرين ونجحت ولكن الآن لماذا ينهـــشني الحنين إليك .. أصبحت الآن أراك في كل شيء.. أصـــبحت فجأة كل الوجوه أنت.. وكل الأصوات أنت.. حتى جلـــدي اللعين المسلوخ بالرغم مني اكتشفت أنه لم يبتعد بل تروى قليلا وانتظرني ليساعدني في البحث عنك.. أنت.. أنت بعـــد كـــل الأيام.. اكتشف أنك لم تغادر قط..حـــضورك.. مـــا كـــان بالقرب منك حضورك كان في كل لحظاتي.. وفى حياتي كنت هناك في ذكرياتي .. قلبت أوراقي ليفاجئني أنك كنت هنـــاك تساءلت وأنا أقرأ.. هل كنت أعلم أنك ستقرؤها ذات يوم.. كنت أكتب أهدى كلماتي إليك .. لا بل اهديني أنـــا إليـــك كنت أتساءل وأنا أكتبها وأقرأها: لماذا أنت ؟.. ولماذا أنـــا ؟؟ صدمني وأنا أقرأ كلماتي سؤال عميق.. عميق.. بعمق تضاريس البوح في روحي : (أأحسن الحديث عنا في كل مرة أتمـــادى

لهوًا بذاكرتي وشوقي؟ ... أم هي رغبة نسيانك فقــط ؟... أم هو الأمل في عودتك يومًا، لأريك رسائلي وفداحــة غيابــك المر.. وأريك أنني لازلت أحبك وأتنفس شذاك بحق.

****

لماذا يا فراشتي الصغيرة؟.. لمــاذا؟.. كنــت أتأمــل كــل محاولاتك لجذبي تأملتها وأنا أبتسم.. خدعك طـيراني الــدائم فحسبتِ أنني ذبابة يغريها المذاق الجميل لكي تلتــصق بخـيط العنكبوت كي تمصي عصارتها وتقتلينها.. أنت فراشة ولــست أنثى عنكبوت لكي تجيدي القنص.. وأنا صقر يا طفلتي صــقر لا ألتهم الضعيف.. ولكن لنلعبها علــى طريقتــك.. لــنكن أصدقاء.. حتى وأنت تؤلميني.. كنت أنتظر.. حتى فاتحتني بأن رائحته تحيط بك.. لم تصدقيني.. الألم لم يخلق كترياق للألم.. الألم والحنين هما مشاعر لا يصلح لهما إلا البعد كترياق والقلب الممزق يصلح شرايينه بنفــسه.. ولكنــك أصــررتِ علــى العودة..فلترقصي يا فراشتي بالحنين الآن ..ارقصي..

ما لم أتوقعه أبدًا بعد انقضاء شهور طويلة أنني قد أعود وأن ذاكرتي لم تتفحم طوال تلك المدة.. حينما أحــضرتك مــن صندوق ذكرياتي فوجئت بذاكرة تكتسحني.... من قــال أن الذكرى..حكر على الأماكن.. ؟؟؟؟ هناك ذاكرة المكــان..

وذاكرة الحدث .. وذاكرة الكلمات .. وذاكـرة الأرواح .. ذاكرة النظرات.. وذاكرة اللمسة الأولى.. والهمسة الأولى.. وذاكرة الجسد.. آه من ذاكرة الجسد تلك.. أتعلم انـك قـد ختمت على كل مكان اقتحمته سواء بنظراتك أو بلمساتك .. وسمت جسدي بوسم العبودية لك.. لا أعني عبوديـة حـريم السلطان أعني أن جسدي أصبح ملكًا لك... كنت أتوقع كل شيء وأي شيء ألا أن تُسرق مني حواسي فجأة.. بلا بطولات غرامية أخرى! .. بلا أي شيء ..فقط برائحة الحنين.. أيحسب أن نتخلص من أجسادنا.. حتى نقطع عليها طريق العبور إلينـا ؟؟؟.. صدمت بأنني في غفلة مني.. سرقت إليـك.. داهمـتني رائحة عطرك وبقسوة..رائحة عطر لازمني طوال فتـرة قـربي منك.. رائحة العطر الممتزجة برائحة جسدك .. اشتهاء القلب هو ما جلبها إليّ.. وفاجأني بعدها بتذكر دفء الـضمة الأولى التقطني إلى حضن أتعبني لليال طويلة.. حتى أعترف – فقط – بشوقي إليك!..وها أنا ذا رغمًا عني .. أذوي شوقًا..برائحـة الذكرى..بالرغم مني تحسـست كفـي .. تحسـست حـتى أصابعي.. كتفـي .. عنقـي .. وجهـي .. و .. أيـضًا .. جسدي!!..تتبعت حتى شرايين نبضي المـذهول ..لأكتـشف أنك تمر بدمائي أيضًا..وأنا أتحسس نفسي .. اكتشفت أنـني أيضا أحمل ذاكرة على جسدي .. وكأني نصب تذكاري حي

لك .. تبلغهم "عيناك" أنك .. مررت بهذه الأنثى يومًا..لطالما.. راودني سؤال عن موقعي بين نساء كثيرات عرفتهن صداقة .. وربما عشقًا .. وربما محض شهوة خالصة هل من في مثل مكانتك يعترف بصداقة؟أو يمارس عشقًا ؟؟؟؟؟ (وحدهم العظماء تنصب التذكارات لهم) ... وأنت .. كنت عظيمًا في عشقك .. ثم في تحطيم حبي .. بفن القطيعة والرحيل!؟ تباً .. متى تتوقف هذه الذاكرة عن اصطيادي ؟

أئذا قطّعت من جسدي كل مكان اقتحمته .. ورميته بعيدًا.. أينتهي الأمر؟؟؟

***

ظلموك أيها القلب....وحَمّلوك الحب.....ثم لعنوك !!!..فلتبوحي يا فراشتي الصغيرة ولأسمعك ..ولتكتمل الأسطورة على أن أصمت وأن أراك وأنتِ تقتربين من النيران لتحرقك

_أنا محتجاله أوى.

_فاهمك ..

_لا مش فاهم.. فاهم يعنى إيه كل جزء فيا بيصرخ بينده عليه.

_نعم

ـأنا مش بحبه أنا بعشقه افهم بقى.

ـواضح.

ـوكل اللي حكيتهولي عنه..نسيته.. مش فاكرة أي حاجة..

ـلا فاكرة.

أتذكر القسوة .. واللذة اللتين حطمت بهما آخر معاقل حبي وكرامتي... أتذكر حنان اللهفة.. ووداعة القُبلة الأولى.. فعلت أشياءً لا أخجل منها ولكني أرفضها.. أتعلم لماذا؟ لأننا كنا فقط .. خارج نطاقي الوعي ..والرؤيا..كنت قدري .. ومن يفر من قدره؟!..ما لا تعلمه — أنني برغم الاستياء الذي ادعيته حينها.. وحذري.. وفرحي باكتشافي أنك تحيط بي .. تواجهني وتحاصرني بـ (ضمات وقبلة) — أنني وددت لو استزدت منها أكثر .. أنني أبقيت ذاتي عندها.. وأن عمري في لحظة .. تحول مني إليك .. دون أن أقصد !!

ما أكثر ما ألصقت وجهي بصدرك بعدئذ .. لربما سكنت نبضي أبدًا ... واحتفظت بك لأمتلكك لقلبي لي ولي وحدي فقط سألتك أن لا ترحل فرحلت !! لكنه الأمل فقط .. يقبل حين تصطادني ذكراك بنعومة .. والألم فقط .... حين أرتطم موتًا .. بوقاحة واقعي!! ..ما زلت لا أدرك أنني أحرق

ذاتي وأرمي نفسي في بحار من التأنيب .. حينما آتي بك .. من ذلك الجحيم الذي كنته .. يوم قتلتني ! ..تبًا ما الذي يجعلك أملاً وألمًا ... حين تمر بعيني؟؟!

****

تسألينني أن تعودي يا فراشتي.. ومن أنا حتى أتدخل في أسطورتك يا فراشتي أنا الراوي فقط لست المتحكم في خيوط اللعبة.. فلتعودي.. من قال إننا يمكننا أن نغير الأقدار حتى لو عرفناها .. فلتعودي للتحليق بجانب النيران .. لترقصي بحسب الألم واستعذاب الطعم المر.. لترقصي يا فراشتي

أتيت بك من مسافة ذاكرة قديمة.. قطعتها ما بين إحساسي بحرارة كوب من القهوة .. .. ووجودك ! لم تكن بأكثر من مسافة عابرة للزمن.. ما تجاوزت من وقتها عمق خيبتي فيك!

والآن وحدي .. أمام كوب قهوة .. وعلى حواف موجة باردة من الحنين إذا بوجودك عميقًا يشاطرني القهوة وحواسي !!ترى .. أي خيبة جديدة حملتها ذكراك لي .. في مكان اعتاد لقاءنا .. دائمًا؟؟!!

تردد شد وجذب علاقة لم تبدأ لتنتهي ..أين أنت ؟...أين ذهب فارسها الجميل لماذا تغيرت؟ ...أين رجولتك التي عشقتها؟ ..وأين لمعة عينيك؟ أين ذهبت بها؟...كنا قد اتفقنا على الغياب واتفقنا على الرحيل ..فلماذا لم نتفق في أن نعود..

كيف ذهبت بل أين ذهبت..من هو ذلك الكائن الممسوخ..
حتى دعاباتك أصبحت .. لا يهم ما يلزمك فقط هو الوقت
وسوف تعود كما كنت ..كما أحببتك دومًا..فقط هو
الوقت..سأمنحك ما لا يرفضه رجل ..سأمنحك علاقة بلا
أي مسئولية..علاقة سأتحمل أنا وحدي كل تبعاتها.. تطلب
مني أن أنهي حياتي من قبلك سأفعل ..أن لا أردد شعرًا بعد
الآن سأفعل، أن أغير أصدقائي، لون جلدي، أن أطلي غرفتي
بلون الحنين إليك، سأفعل، تريدني أن أصبح أنا الطرف المتحمل
لكل التبعات حسنًا سأعفيك من أي مسئوليات وسأحمل
وحدي كل شيء فقط بالله عليك لا تبعدني عنك اجعلني هنا..
أنا حبيبتك وطفلتك الصغيرة فافعل بي ما شئت فقط لا تتركني

****

أعود إليك أيها الصديق..تعبت من اختراقي للأحداث أليس
كذلك؟ ..لا تيأس هي آخر مرات إقحامي لك فيها..أيمكن أن
تسرد علي جزءًا من يومك ..لا لست أتحدث عن يومك
العادي ..بل عن يومك بعد أن عادت إليك..أيمكن أن تلتفت
إليّ..المسرح معد لك ..فابدأ.

أستيقظ من النوم أسحب سيجارة الحشيش ألتقط منها
أنفاسًا وأبتسم -الحتة دى هايلة دماغها رهيبة — هاتفك لم

يتوقف عن الرنين ..إنها تتحدث..أحدثها قليلاً...وأغسل وجهي المرهق من أثر النوم..وأذهب للعمل أنت تعرف بالطبع كيف يصبح يومك حينما يكون عليك أن تعمل اثنتي عشرة ساعة متواصلة!

الاشتياق يكون لسريرك لا لشيء آخر.. اليوم كان قبلها عمل وبعض النساء وسيجارة الحشيش.. وأصبح بعد عودتها سيجارة الحشيش ومكالمتها والعمل... لكنني أشعر بالملل يجتاح كياني... ربما لا ليس الملل.. بل الرغبة في شيء جديد.. لم أرجعتها من صندوق الذكريات الآن لا تعلم هي لا تكف عن المحاولة كطفل يتعلم الحبو.. وحياتك أصبحت مجرد معادلة لا تحتمل وجودها..تلتقط هاتفك لتحدثها:

_آلو..

_أيوه يا...

تقاطعها:

_أنا محتاج وقت

_إيه؟

_محتاج وقت.

_وقت لإيه بالضبط؟

ـوقت عشان أفكر في علاقتنا و...

تقاطعك:

ـنعم وقت ...

ـأيوه يعنى محتاج إننا نبعد عن بعض فترة وكده، إحنا ينفع نبقى أصحاب..

ـلا متفكرش..سلام

****

الألم يا فراشتي .. الألم هو ما تنطق به عيناك الآن .. خيبة الأمل الممزوجة بالألم هي أقوي مما تستطيع أجنحتك أن تتحمله لتتوقفي عن الرقص قليلاً ولتريحي شجنك وجناحك الذي تعب من كثرة التحليق هنا على يدي.. لأنزل أنا إلى قلب الحدث ولأتخلى عن دور الراوي قليلاً..

ـ أنا موجوعة أوي..

ـعادى..الألم مهم عشان تطهري الجروح..

ـجرحني أوي..ابن الـ(...) بجد .

ـممكن تتكلمي على فكرة..

ـوممكن أكتب..

ـممكن..

****

أتريدين أن تحلقي يا فراشتي.. حلقي وارسمي بلون الحنين والوجع أحلى ألوانك.. ولكن هل ألمح احتراقًا بين جناحيك أم هو انعكاس الضوء في عيوني.. حلقي بأي لون تحبنه يا فراشتي الصغيرة ...

أيكون الألم هو ما ينطق أوردتنا فيأمرنا بأن نحترق وجعًا... أم نحن من يطلق بإرادتنا دفقات من الحنين والوجع إلى جوارحنا ؟؟ ركضت بالحياة .. وآلمتني.. أحرقتني بإرادتي أو بالرغم مني.. أتلك هي النهاية؟.. لم تصبح النهايات التي وضعوها لي دائمًا بفعل فراق أو بفعل غدر أو قدر نهايات مملة.. لم قدر لها دائمًا أن تمنحني الإحساس باللامبالاة ..مربك حضورك الآن أيها الألم مربك أن تصبح مزيجًا مع اللامبالاة، من يا ترى كان سيحاسبنا على ذاكرة نحملها بمفردنا.. ببساطة لا أحد فقط كنت أفتعل الأحداث لأرتمي في نيران ..أنا لم أجرح منك لماذا لأنك ببساطة أنت لم تعد أنت ...حتى لحظات مرورك المربكة جدًا انتهت..أنت لا تفهم أنت فقدت احترامك لذاتك ففقدت أنا احترامي لك.. إلا أنني كنت قد بدأت أعتاد التنبؤ بأشياء كهذه منذ فترة، منذ محاولتي الأخيرة للعودة.. واعتدت أكثر سماع صدى انهياري بالداخل كلما استبسلت في مقاومتك بادعاء حبك دون قصد.. أو الانجراف بموت نحو شوقك دونما قصد. ولكن بدون قصد لم تعد أنت

****

لمادا على دائمًا أن أتخلى عن دور الراوي..يصيبك هذا حتما بالتشتت كما يصيبني أنا أيضًا.. ولكن لابد أن تعتاد ذلك فطبيعي أن أنهي أنا الأسطورة كما بدأتها.. لأعود إلى مسرح الأحداث مرة أخرى!

ـ بيتصل ..

ـ إيه؟

ـ كل شوية بيتصل كل شوية...

ـ طيب إيه ما تردى

ـ وأرد ليه..وبيتكلم من نمر غريبة كمان

ـ غريبة دي ..

ـ ههههههه..نتكلم جد شوية بقى ..إنت بتحبني؟

ـ إيه..

ـ سمعت.. بتحبني؟

ـ وافرضي..

ـ مفيش فروض..

ـ ولو

ـ طيب وبعدين

_مفيش

_اخطفني...أنا عارفة إنك تقدر بجد اخطفني من اللي أنـــا فيه أنا عايزة ألقى نفسي تاني عايزة أرجع بجد.

_مينفعش..

_ليه

_لأني ما أستاهلش كده منك عارفة إيه الفرق بين الصقور والنسور؟

_الاثنين بيطيروا

_الصقور والنسور طيور جارحة وبرغم إن الاثنين لـــيهم نفس الكبرياء إلا إن النسور بتآكـــل الميـــت... أو الـــضعيف الصقور بترفض ده مش بتلتهم فريستها غير وهى قوية...

_فهمت وإنت إيه بقى

_أنا صقر مينفعش أبقي نسر بجد مينفعش.. أنـــا هقـــف جنبك لحد ما ترجعي تاني ساعتها لو اخترتيني هبقى سعيد إني أكمل عمري معاكي مش سعيد بس لا فخور كمان

_يمكن

_لا أكيد

****

ثمــة أنــاس .. تخنــق ذكــراك قلــوبهم .. فيحيــون!
وثمـــة أنـــاس.. تخنقـــك ذكـــراهم....فتمـــوت!!
وما بين حياتهم وموتك .. تصير قبرًا يلتحف بنفسه، تعدّ كـم شخصٍ مر بك وسكنك ... ولا تعي أنك من خلالهم أيضًا.. تدفن روحك!!

في الأساطير القديمة حدثونا عن فراشة.. فراشـــة حلقـــت وحلقت وأبدعت اقتربت جابت الأرض والعالم وعنـــدما رأت النيران اقتربت واقتربت لتحترق... فقـــط حينمـــا التقطتـــها يداي.. قبلتها وأطلقتها..... حينما كتبت الأســـطر بـــأعلى سألت نفسي

ما ذنبي إن كان حبّك هو ما قدر لي..!!

وما ذنبي إن طعنك أحباؤكِ من قبلي !!..

وما ذنبي إن كنت لا تعـــرفين مـــاذا تريـــدين ... مـــن الأساس!!.وما ذنبي إن كان خطئي أن ما هو مباحٌ لي .. محرّم عندك!!

طارت حول أذني وهمست بهم لأنك أحببتني وهـــل بعـــد الحب ذنب!!

ساديزم

" الطريق ليست كالملامح ..الملامح ترسمها الوجوه من حولك ..أما الطريق .. فتحفر نفسها عميقًا من تحت قدميك فلا يبقى لك سوى أن تسلكها ..!!"

"جزء من القصة"

السادية مصطلح يستعمل لوصف اللذة الجنسية التي يتم الوصول إليها عن طريق إلحاق أذى جسدي أو معاناة أو تعذيب من قِبل طرف لطرف آخر مرتبطين بعلاقة من أي نوع، سميت بالسادية نسبة إلي الماركيز "دى ساد" الأديب الفرنسي المشهور والذي تتميز شخصيات رواياته بالاندفاع القهري إلي تحقيق اللذة عن طريق تعذيب الآخرين والسادية تعني الحصول علي المتعة من خلال ألم ومعاناة الآخرين سواء كان ذلك نفسيًا أو بدنيًا أو جنسيًا

****

_سيدي.. أنا أحبها أحبها بحق..

لا تنظروا إليّ كمجنون فقد أنفقت عمري بأكمله..منـــذ كنت طفلاً صغيرًا وأنا أحلم بها

سيدي.. لطفا أعدها إليّ لماذا تنظر إلى يـــا ســـيدي ممثـــل الادعاء بكل تلك السخرية هي ملكي فأعيدوها إليّ والآن.

***

حسنا لم أعرفك بنفسي بعد ...أنا مجرد ((مغفل)) مغفـــل ضاجع غبـــاء تـــصرفاته، اســـتخدمه الكـــثير ممـــن حولـــه خبـــثهم..غـــدرهم..مكنـــه مـــن إتقـــان ســـلاح الضعيف.......الحيلة...والخبث لعبة الضعيف التي غالبًـــا مـــا تقهر الأقوياء

****

_إنت و"سارة "؟

_إنت ..أنت يا "شريف"..صاحبي الوحيد..

_صدقني الموضوع جه كده... أنا حاولت كتير بس هـــي كانت

لحوحة أكتر من اللازم.. بص أنا هقطع علاقتي بيها..

_لا.. ليه؟..

_مش ليه..أصلاً كل الموضوع إنها بدأت تقرب مني وأنـــا بجد مش لاقي فيها عيب و.. ..

_خلاص ..يا "شريف".

_خلاص إيه؟!.

_مبروك...

عندما لمح نظرات الانكسار في عيني صديقه.. ابتسم

****

كنت أعلم أنها خانت "إبراهيم" معي.. وأنه لازال يعاني من أوجاع قسوتها التي استخدمتها في صناعة كلمات آخر لقاء ختمت به مسلسل حبهما معًا..ولكنني تعمدت أن يعلم بالأمر.. كنت أتلذذ بما يحدث _ أتذكر الأمر بفخر الآن_ حينما زرعت بينهما بذور الكراهية وأنا أبتسم. .. الأمــر كان ممتعًا للغاية .. المشكلة كلها كانت تكمــن في الاختيــار الآن..بمن سأبدأ؟!.. بها؟.. أم به؟!.. ولكن لأن "إبــراهيم" _ الذي كان يفتخر بقوته_ كان يحبها أكثر مما ينبغي.. لــذلك أصررت على أن أرى في عينيه الانكسار..قبل أن أجهز عليها هي.

****

_إنت ساكت ليه؟

_ لا مفيش..

_مفيش إيه؟.

_زهقت.

ـــمن إيه؟!

ـــبصراحة؟

ـــآه.

ـــمنك.

كلامك مكرر إنتي نفسك شخصية نمطية جدًا..بصي يـــا "سارة" بصراحة أنا شايف إننا غلطنا.. لما قربنا من بعـــض.. تفتكري ممكن نفضل أصدقاء؟.. بجد أنا مش قادر أكمل.

وهى تبكى وتنهض لتبتعد.. أشعل ســـيجارته وابتـــسم في رضا.

****

تعلمت الدرس منذ البداية .."أنا أشتهي ما في يـــديك إذن يجب أن أحصل عليه".. مهما كلفني الأمر.. المهم في النهاية أن أنتصر عليك حتى وإن لم تنازلني فأنا سأهزمك.. لا بل سأجعل نفسك تهزمك.. وأنا سأظل بجوارك الصديق المخلص في حـــين أنني أنا من يدمرك.. بل وأتلذذ بأن أدمرك...

****

الطريق ليست كالملامح ..الملامح ترسمهــا الوجــوه مــن حولك.. أما الطريق .. فتحفر نفسها عميقًا من تحت قــدميك فلا يبقى لك سوى أن تسلكها ..!!

لا أتذكر تحديدًا متى بدأت أستمتع بذلك؟.. ربما يوم رأيت أبي وهو يهوي على وجه أمي بالصفعات .. من خلف بــاب غرفتي.. أو ربما حينما لمعت عيني وأنا أنظر لعربة جارنا الــتي قذفتها بالحجارة ليصرخ البائس.. حقيقة لا أعرف تحديدًا!!.

حتى في مناولتي للحب أو الجنس كنــت أســتمتع دائمًــا بالعنف..كيف يمكنك أن تقبل حبيبتــك بــدون أن تجــذب شعرها؟..كيف لا تستمع وهي تضرب؟.. صدقني هكذا يجب أن تضاجع الدنيا والنساء.. بالقوة والقوة وحدها.

****

_"شريف" .."شريف محمود"..

_أيوه تعرف إيه عنه؟..

_شخص غريب أوي يا باشا.. ساكت على طــول وكلامــه تقيل ويخوف مش عارف ليه.. بس أنا على طول كنت بخاف منه.

****

أذكر ألمي من قبضة يدك حينما ضـــربتني .. لم أســتطع أن أرد عليك ضربتك ..أنت الأقوى...لذلك يومها ابتسمت أصررت أن أصبح آخر غير ذلك الضعيف... حسنا أنـــا ســأهزمك.. وهزمتك..! واستمتعت وأنت تتلقى اللوم مرات كثيرة تكـــاد تجن تنظر حولك لا تعرف أن صديقك ومستشارك الصغير هو من يفعل بك كل ذلك..حسنًا!!.. بالخداع وحــده تــصنع لنفسك حربًا من الوهم..!

****

حلمي بسيط للغاية حلمي هو أن أصبح كائنًا من نار ولكـــن مرئي.. تخيل.. حينما يصبح عدوك كائنًا ناريًا!!.. مهما كانت قوتك فإن ضربك للنار حتمًا سيؤلمك بينما سيجعلها تتراقص قليلاً مع ترنح الهواء وبضع من الشرارات تفيد غرور النار..
لا يستطيع أحد مهما بلغت قوته أن يقف بثقة أمام النار لمـــدة نصف دقيقة!!! أليس حلمًا رائعًا لا بزوجة أحلم.. ولا بطفل.. كل هذا هراء! بل حلمي هو أن أصبح من نار..

****

ـ"شريف محمود".. آه طبعًا أعرفه من وإحنا صـــغيرين وهـــو جارنا بس كان لوحده حتى وهو بيلعب كان بيلعب لوحده.
بس كان عنيف شوية ...لا عنيف أوى

بس اللي كان بيميزه إنه على طول ساكت.. يعني بينطق حرفين تلاتة بالكتير أوي!

****

ترى.. هل لو أصبحت نارًا؟.. هل سيستطيع الناس إحصاء أخطائي؟.. هل سوف يلومونني على أي شيء؟

النار كائن مقلس.. والجميع يستمتع بالنار.. حتى وهي تؤلمهم!.. لماذا لم أخلق نارًا منذ البداية؟!!

****

في كل صباح كنت أقف أمام محطة مترو الأنفاق.. أقرأ جريدتي وأقرأ البشر أهوى أشكالهم وألوانهم....أتأمل فقرهم وضعفهم فتصيبني رعشة وأشعر بنشوة وبقشعريرة باردة تزحف على عمودي الفقري فتجعلني أنتشي، أتأمل صعود الركاب ونزولهم لهاثهم وراء لقمة العيش..ترى لو استطعت أن أجعلهم جميعًا عبيدي ..وأن أقف بكرباج كبير فأجلدهم جميعًا كم سيكون الأمر ممتعًا حينئذ؟!

من حين لآخر أمد قدمي ما بين الزحام فيسقط مغفل آخر.. وأنظر إليه وهو يحاول أن ينهض ينفض التراب مع كرامته.. وأنا أبتسم.. لا يمكن أن تمنحك الحياة كل هذه المتعة

بساطة... أنظر إلى ساعتي حان وقـــت الـــذهاب للعمـــل .. الجميع يهابني.

هناك ..أستمتع دائمًا بإيجاد الأخطاء وبإلقاء اللوم ..ولكن حتى ذلك الأمر البسيط أخذوه مني.. بأن جمـــيعهم صـــاروا منضبطين ــ ربما أكثر من اللازمــ وبدأت أنا أفقد اســـتمتاعي بإشعارهم بالنقص ..كم هي مملة تلك الحياة!.. لابد من وجود متعة أخرى؟.. يا إلهي!.. لما لم أخلق نارًا منذ البداية؟!

****

هي!!.. ومن تكون هي من الأساس؟.. إذا قورنت بـــه.. مجرد ممرضة في عيادة طبيب نفسي نـــصف مـــشهور.. جـــل أحلامها فارس أحلام بسيط.. تعتقد صديقتها بأن حبها لعلـــم النفس هو ما يجعلها تعمل هنا..لا يعلمـــون أنها لا تهـــوى المجانين.. بل كل ما في الأمر أن الوظيفة بمرتب مغرٍ وقريبة من المترل فقط.. بالإضافة إلى أن فقر أسرتها وحياتها البائسة جعلها فقط تنتظر يوم أن يأتي ابن الحلال لينقذها من ذلك البـــؤس.. لماذا لم يأتِ إلى الآن؟!

****

لا يمكنك أن تشعر أبدا بما أشعر اليوم.. لا يمكنني أنا نفسي أن أصف لك حتى الشعور.. تحتاج أن تكون قطًا يقف علـــى

مخالبه منذ شهور ووجد فأره الصغير في النهاية!!.. تحتـــاج أن تصير وحدك في صحراء لشهور ووجدت بئر مـــاء وواحـــة.. تحتاج أن تكون أشياءً كثيرة ...ولن تقـــدر حـــتى علـــى أن تفهم...حينما رأيتها!!

حسنًا.. هي من سوف يدخل شـــيئًا جديـــدًا إلى حيـــاتي البائسة... وهي تساعد تلك العجوز بهالة الملائكة التي تكـــاد تنير رأسها ..وهي تخطو وتمنح العابرين ابتسامة بدون سبب.. حسًنا.. يا صغيرتي ...أنتِ من انتظر!

****

سوف تسقطين.. قوانين الجاذبية تقول إن التفاحة ســـوف تسقط.. وقوانيني تأمرك بأن تقعي صـــريعة حـــبي الآن..أنـــا آمرك.. لا تستجيبي!!.. حسنا سوف أدمرك..سوف تـــرين.. لسوف ترين ماذا سوف أفعل!

****

مر أسبوع وأنا أتابعك ..ولا تلتفي إليّ.. حتى لا تنظري إلى أحد!.. فقط تنظرين إلى الطريق أسفل قدميك.. الصيد صعب كل يوم أجلس ..أنتظرك.. وأنـــت تـــصعدين إلى عملـــك.. وأتابعك إلى أن ترحلي.. أدخن وألاعب النار براحتي وأصـــبر

نفسي إلى أن فقدت الصبر على أن أصعد والآن ..حسنا ها أنا ذا أمام الباب!

دكتور "محمد المستنصر بالله" دكتوراه في الأمراض النفسية والعصبية.

تعملين هنا؟!..حسنًا.. حسنًا أنتِ لم تلتفتي ناحيتي من الأساس.. عندما قدمت لم تلاحظي طوال الأسبوع من يحصى عليك الأنفاس.. حينما وجدتك تبتسمين لي مرة أخرى.. شعرت بنشوة تجتاح كياني فتعصف به.. نشوة من بدأ يرى الصيد يدخل إلى الشباك وهو مبتسم.. حسنا يا صغيرتي سوف ألتهمك.. بالله لا تدعيني أنتظر أكثر من ذلك واسقطي!

****

_يا ترى دكتور "محمد" موجود؟

نظرت إليه:

_آه..

_ممكن أحدد ميعاد.. ولا ممكن أقابله النهارده على طول؟

_لا.. ممكن تستناه شوية..حضرتك المريض؟.. ولا واحد قريب حضرتك؟.. لو قريبك يبقى لازم يكون معاكي.

_لا.. أنا بس بحلم أحلام مزعجة وكنت عايز الدكتور يساعدني.

_طبعًا.. طبعًا.. اتفضل..شاي حضرتك إيه؟

نظرت في عينيها الخجولتين:

_مضبوط.. مضبوط أوي.

وابتسمت.

****

النار لها قانون واضح وصريح.. أما البشر فهم ضعفاء ولا يتحملون أن يصيروا للحظة صرحاء.. أو بنمط واحد أيا يكن!!

ما ذنبي أن جسدي خلق هشًا؟... ولماذا لم أصبح من جمراتها أو أحد موجات لهيبها المتأجج؟.. ولكن عقلي كان كجمرة منها.. من النار!.. انتظر يا طبيبها المختال بعظمة الطاووس.. تريد أن تحللني!..تريد أن تلعبها معي!؟.. لا أظن من يلاعبني لابد أن يلعبها على طريقتي..

ولكن لماذا لا أعطيك الفرصة لتختبر ذكاءك؟..حسنا.. ابدأ اللعب.

****

_أستاذ "شريف" صح؟

_أيوه.

_اتفضل حضرتك ارتاح.

_مش المفروض أنام على الشيزلونج؟!

_هههههههه.. لا طبعًا.. مفيش مفروض.. اللي يريحك اعمله.. عايز تمدد على الشيزلونج؟

_لا أبدًا.. بس أصلي بشوفهم في الأفلام بيعملوا كده.

بابتسامة الطبيب العارف الممسك بزمام الأمور أنهى سخريتي.. والتفت إليَّ:

_ها ..خير بقى؟

****

"قانون الجاذبية يأمر التفاحة أن تسقط وأنا آمرك أن تسقطي و الآن.."

****

_تعرفي الدكتور قالي إيه؟

_لا معرفش.. يا أستاذ "شريف".

تقولها وهي مبتسمة.

أنتظر قليلاً أنظر إلى العيون الجميلة والوجه الذي يشي بسوء التغذية برغم مساحيق التجميل.. والجسد المتناسق.. والحـــذاء البسيط.. أسحب نفسًا من سيجارتي وأنفخه بـــالقرب مـــن أذنها.. وأنا أهمس بالقرب منها:

_قالي إن حل مشكلتي في الجواز.

مع ابتسامتها لمحت خدودها والدم يملؤهم ليشي بالخجـــل وبأشياء أخرى!

****

غريب أمر شريف هذا!!..منذ أسابيع أنا أتـــابع ســـلوكه وتصرفاته.. لا شك أنه يمر بمشاكل نفسية.. أنت سايكو أليس كذلك؟ حتى وإن جعلتك تمر باختبارات الإسقاط، والرســـم، لن أعلم ما هي درجة مرضك.. تلزمنا فترة أطول.. لابـــد أن نقترب أكثر.. لابد أن تضع أنت أول الحروف وتدعني أكمل ما بين النقاط.. حسنًا فلنبدأ!!..

_بتعرف ترسم يا "شريف"؟.

_لا مش أوى يا دكتور؟

_طيب تحب نلعب شوية؟

_نلعب!!

_آه ...بص دي ألوان واختبارات بسيطة.. ممكن تساعدني فيهم؟.. ارسم أي حاجة أول حاجة تيجي في بالك ارسمهـــا.. تقدر؟!

_آه طبعا

جميلة هي ألعاب ذلك الطبيب.

حسنًا.. لولا أنه لزج، لكان من الممكن أن نصير أصدقاءً.. لم تتسع عيناه وهو ينظر إلى نتائج الاختبارات؟!!

****

حسنا فلتعترف.. المشكلة كلها يا "شريف" كانت أنـــك أحببتها!!.. غريبة أن تحتل حياتك أنت بالذات ممرضة بـــسيطة في عيادة نفسية!.. وعائلتها ربما لا تملك قوت يـــومهم!... لا يهم.. المهم أنك أحببتها...وهي تستجيب لكـــل رغباتـــك.. تنصاع لتتلقى اللوم.. وتبرر كل تصرفاتها.. حـــتى الطبيعيـــة.. وتبكي في حضرتك.. هكذا يجب أن تكون المرأة.

ربما سوف تندهش من رغباتك الـــشاذة قلـــيلاً.. ولكـــن بصمتها وتبريراتها ومحاولة إخفاء ربكتها ورعبها في حـــضرتك ستعتاد.. سأتزوجها!

****

لم تصارح "سمر" أحدًا بمكان مقابلتكم الأولى، من سيهتم بذلك أصلا!!.. الطبيب نصحها بأن تلتزم العقل قليلاً..هو يشك أنه سايكو.. من سايكو هذا أساسًا؟.. طبيبها هذا يغوي دائما أن يتكلم بالألغاز.. لقد جهز لها قصرًا!!

قصرًا لم تكن تحلم بمثله.. فلماذا ترفض؟.. بل قل لماذا تفكر أصلاً؟.. صحيح أنه غريب للغاية ويستمتع دائمًا بجعلها تبدو غبية وضعيفة.. ولكنها لم تعارضه قط.. كيف تعارضه وهو حلمها بأن تخرج من حياتها التي كرهتها؟.. وماذا جنت هي من الكلام المعسول من قبل إلا الانتظار إلى أن قاربت الثلاثين بدون زواج؟!..ستكون غبية إن رفضت عريسًا كهذا!

****

ليلة فرحهم كان صامتًا للغاية لم يشارك في الرقص ولا في غيره!!.. انبهرت عائلتها بالفندق الخمس نجوم.. وبفستان الفرح الذي تكفل هو بإحضاره.. لم يدعها تنهض حينما أشارات لها ابنة خالتها لتشاركهم الرقص بنظرة مسح الفكرة ووضع مكانها رعبًا كان كافيًا لتنهار فكرة وقوفها على قدميها من الأساس.. حتى حينما جلسوا في السيارة التي استأجرها لتلك المناسبة طوال الطريق لم ينبس بحرف..

وهي تصعد السلالم وضعت ألف فكرة وحلمًا لما سيحدث بداخل غرفتهم.. وهي تحل أسر شعرها.. وتخلع

فستانها..وتعطر جسدها _الذي أرَّق نومها كـثيرًا_ كانـت تفكر في كيف سيبدأ هو.. تضع العطر وتبتسم.. وهي تتذكر كلمات أمها وخالتها وأصدقائها.. ابتسمت وهي تتذكر كـل تلك الأشياء.. مجرد وجودها مع رجل أساسًا يـضع مليـون احتمال.. ولكن لماذا يبتسم هو بهذا الشكل الغريب إنه يجرهـا جرًا!

فوجئت به يقيدها...أحست أنه يقهرها لا يقبلها ..يكسر عظامها لا يحتضنها....في لحظات انتهت كل أحلامها أصـبح كل أملها هو أن تنتهي من هذا التعذيب..صـرخت حينمـا لمست سـيجارته المـشتعلة جـسدها..نظـرت في عينيـه وصرخت..وهو يضحك ويكممها ..دخلت في شبه إغماءة.. حربًا ضروسًا ما يفعله ليس حبًا ولا زواجًا ولا أي شيء بـل حرب والتهام تعذيب بدون ذنب أغمضت عينيهـا وبكـت بدموع تنتزعها من آلام جسدها.. وهى تلعنه وتلعـن كـل شيء.

ودخلت في إغماءتها مرة أخرى .. حينما انتهى.. أحست بانتهائه حينما لسعها بسيجارته وهو يضحك بشدة.

****

_اصحى يا "شريف".. أنا خايفة.. شريف.

_مالك يا "منى" ؟

_بابا جه.

نظر من الباب هو وأخته "منى" وهم يرتجفون.. كان يحادث أمهم نظروا من خلف الباب المغلق إليه..

_أنا يا بنت الكلب يا زبالة؟.. أنا مش بصرف عليكي؟.

_كفاية يا سي "محمود".. مش هتتكرر تاني.

_تاني؟.. هو أنا لما أسيبك هيبقى فيكي حتة سليمة أصلا؟

وأمام عيونهم الخائفة انتزع أبوهم الآيش (حزامه المسيري) ونسله أمامهم على جلد أمهم وهي تصرخ.

****

سوف تؤنبه وبشدة... ربما كان مخمورًا بالأمس..بالتأكيد كان مخمورًا ...لا عقل سليم يجعله يفعل ما فعله... جسدها

به كدمات لا تراها ولكنها تشعر بها .. لا تستطيع الوقوف على قدميها حتى..!

_لماذا؟!..

سؤال واحد هو ما كان يلح عليها.. لماذا؟

سوف تشتكي لأمها.. بل للجميع!.. لن تسكت.. سوف تتركه مهما كلفها الأمر..رماد سجائره لازال عالقًا بجسدها.. إنه مجنون!.. بحق مجنون!!

****

أظهر حبه لها الأمس بحق.. يا الله!!.. كم أصبحت الحياة ممتعة!

لأول مرة تشعر بأنك نار وتحرق من تحب وهي تحترق وبكل بهاء..حسنا بأشياء بهذه الصورة تكتمل... أمس يا لها من ليلة!!

لم تستمتع منذ سنوات بهذا الشكل.. أغلقت الباب خلفك بالمفتاح وأنت تهبط.. وفصلت الهاتف بعد أن جعلتها تحدث أمها أمامك... الليلة ستفاجئها بحق.. أحضرت كرباجًا كبيرًا وعصا.

اليوم يا عروستي الجميلة هو الاحتفال الكبير.

****

حينما عرض عليك أن تحدثي أمك لم تستطيعي أن تنطقي بأي حرف.. لا بالاعتراض ولا بأن تنهريه..عيناه بهما رعب يجعل جل أمانيكِ هو أن تبتعدي عن مرماهما!

تنظرين إليه وأمك تتحدث فرحة بكِ.. برؤيتك عروسًــا..
لم تستطيعي أن تنطقي لها بحرف وهي تسأل بخبث عن نومك
ليلة أمس..وحين أنهى المكالمة وخبأ الهاتف..بكيتِ.. ولكــن
فكرتي قليلاً بعد أن رحل حتى وإن كان قد تركك تتحدثين..
كيف كان بإمكانك أن تدمري كل تلك الفرحة؟!.. كيــف
تستطيعين أساسًا أن تصارحيهم؟.. بأي كلمات سوف تصفي
بها حالته..وكيف يمكن أن تتقبل أمك أن زوج ابنتــها مختــل
وللغاية!!

كيف يمكنها أن تتخيل أن ابنتها ترتعد من رؤية من حسبته
فارس أحلامها .. حينما تنتابه تلك الموجــات..يتحــول إلى
وحش كاسر لا يــشرب إلا مــن دمائهــا.. ولا ترويــه إلا
صرخاتي.. يستمع إليها في استمتاع كعاشق ..هو مجنون بحق..
في الطبيعي يكتفي بتوبيخك ...ولكن حينا ينظر إليك بنظرته

يا الله أما من نهاية؟.. أما من نهاية!!

***

كنت قد أيقنت من أن شريف سادي..ســادي بحــق.. لم
أكن أعلم أين اختفت "سمر"؟.. منذ فترة وهــى لم تــأت..
علمت أنها تزوجت وأنا في رحلتي لحضور المؤتمر.. ولكــنى لم
أتخيل أبدًا حينها بأنها خالفت نصيحتي بأن تتــروى.. بــل لم

أتذكر الموضوع من الأساس.. لو فقط تروت!.. وسألت عما تعنيه كلمة سادي.. حينما راجعت حالته وأنا في الطـــائرة وفي فندقي.. حينما أفرغت الشرائط.. تأكدت من صحة تحليلـــي الأول له.. كلماته حول النيران ونظريـــة الألم والاحتـــراق.. تأكدت من أنه سادي نموذجي.. بل ومن النوع الأخطر.

ليس من النوع الذي يستمتع بإلقاء اللوم بـــل إن ضـــرره بالتأكيد يتعدى ذلك!

لو كان الأمر بيدي.. أو لو كنا في انجلترا مثلا أو أي دولة تعلم أهمية علم النفس.. لكنت كتبت توصية بأن يحتجز لـــدفع ضرره عن المجتمع... ربما.. ولكنك تعلم دون غيرك أن ذلـــك مستحيل.. مستحيل كما هو مستحيل أن تعـــالج الشخـــصية السادية أو أي فرع من الفروع السيكوباتية عمومًا!!

*****

_لذلك فكما ترى يا سيدي القاضي أن المتهم وعلى مدى أسبوعين متواليين حبس تلك البريئة وقام بتعذيبها وهـــو مـــا كشفه الطب الشرعي ..ليجدها في النهاية جثة من آثار خنقـــه وتعذيبه وحرقه لجسدها بالسجائر المشتعلة...سيدي إنني هنا لا أطالب بأقصى عقوبة للمتهم فقط بل طلبي أن نـــرحم أهـــالي

الضحية من حزنهم وألمهم في عروسهم التي خرجت من بيتهم عروسة لتعود وهى جثة

.

الدفاع..

قبل أن يتقدم المحامي الذي عينته لي المحكمة أرفع يدي مستجديًا:

_ يا سيدي.. هل يمكن أن أدافع عن نفسي؟.. أيمكنني ذلك؟.. حسنًا.. أيمكنك أن تسمع أقصوصتي؟.. أنا يا سيدي النار..النار التي تشعل بها سيجارتك ..وعروستي أنا أحبها.. أحبها بحق ..

لا تنظروا إلى كمجنون فقد أنفقت عمري بأكمله..منذ كنت طفلاً صغيرًا وأنا أحلم بها

سيدي لطفا أعدها إليّ.. لماذا تنظر إليّ يا سيدي بمثل الادعاء بكل تلك السخرية!!.. هي ملكي فأعيدوها إليّ والآن..كل ما في الأمر هو أنني لعبت معها قليلاً.. كنت أضغط على عنقها...أضغط وهى تصرخ لا يمكنك أن تتخيل المتعة ..وفجأة كما تسقط لعبة الطفل الصغير حينما تنتهي حجارتها..سقطت هي.. هذا هو ما حدث سقطت فحملتها وزنها أصبح كالريشة لا أعلم لماذا مع أنني أحضرت لها طعامًا

كثيرًا ..أخذت أحدثها وأنهرها بل وأضربها حتى وهي لا تستجيب..حينها أخذت في الصراخ والبكاء.

سيدي فضلاً أعدها إليّ من فضلك يا سيدي ..لا تنظر إليّ كمعتوه..أنا النار.. أيمكنك أن تلوم النيران على أنها أحرقتك؟!!..أنت من غرك لونها المبهر فاقتربت لتحترق..

يا سيدي أعدها إليّ من فضلك والآن ...

"آسر"

"إن" النفوس هي بيوت أصحابها، فإذا طرقتموها فاطرقوها برفق"

"علي ابن أبي طالب.. كرَّم الله وجهه"

قبل البداية :-

مرض "التوحد" هو نوع من الإعاقات التطورية، الـتي تـصيب الأطفال وتسبب متاعب كثيرة لهم ولأسرهم ويـسبب مـشاكل في التفاعل الاجتماعي، وتأخرًا في النمو الإدراكي، وفي الكـلام، وفي اكتساب اللغة لدى الطفل، وضعف في العلاقات الاجتماعية مع من حوله، يتصف التوحد بوجود حركات متكررة للطفل، و اهتمامات محددة.

* * *

مع دخول "علاء جودة" اليومي من باب الشركة الرئيـسي بقامته المتوسطة نسبيًا وبذلته الأنيقة للغاية ونظارته الشمـسية الباهظة الثمن.. يسري التوتر في أرجاء الشركة كلها، كمـا تسرى النار في مستودع للأخشاب برعاية الريـاح الهادئـة.. الموظفون الهادئون يتحركون، بسرعة كبيرة بنـشاط وهمـة، وخوف ظاهر بين مكاتبهم في تساؤل عما سيفعله بهم دراكولا اليوم!

*****

ما الضرر في تعريف بسيط؟

أنا "علاء أحمد جودة".. أبي هو "أحمد جودة" أحد أكبر المهندسين في مجال التصميم المعماري، أو هكذا أعلم عنه.. لم نتحدث في عمري إلا في المناسبات الضرورية للغاية، برغم أني ابنه الوحيد إلا أنه هو وأمي ..، تركا تربيتي لجدي اللواء الأسبق في الجيش، تعلمت من جدي عدة نظريات..

نظريات عن ماذا ؟... عن الحب، والعواطف، والمشاعر، والحياة، مالها الحياة؟.. الحياة هي معادلة رياضية بسيطة،..١+١ =٢.. ولمسايرة الحياة لابد أن تجيد اللوغاريتمات.. العواطف؟... العواطف هي وقود مركبة الأغبياء والضعفاء في طريق الحياة...والمشاعر والأحاسيس هي ملاذ الضعفاء... والعطف والطيبة هي مبررات، نستعملها لتبرير الفشل!

*****

لا تسمح بالأخطاء أبدًا.. هذا هو شعار "علاء".. لا داعي لأن تسمع الأعذار فقط،حينما يخطئ أحدهم، عجل له بالعقاب.. يقولون دائمًا إن عينيَّ تعكسان قسوة وكبرًا.. لا أراهم، ولكني ممتن لعينيّ، لذلك الانعكاس.. يجب أن تضع دائمًا لحياتك خطة معادلة.. ضع خطة "ألف" و"باء" وضع احتمالات، ولا تسمح لأي شيء بأن يفسد المعادلة..القلب

والمشاعر، لا مكان لهما في معادلتك ثم إنني لا أدرك أساسًا معنى الكلمة..حب الأم! هو مجرد امتنان لأبي وأمي، لأنهما أتيا بي للحياة، وبالتأكيد فقد سببت لهما من البهجة ما يسدد ذلك الدين!

ربما لم أكن بتلك المشاعر، قبـــل أن...ولكـــن لا داعـــي لتذكرك الآن...تنظر إلى صورته وتنحيها جانبًا..وتفكر مـــرة أخرى في العمل، مناقصة طوكيو تلك مهمة للغاية، طلبت من السكرتيرة إحضار الملف لأدرس العرض مرة أخرى .. منذ أن افتتحت شركتك الصغيرة وأنت في تقدم، يجب أن تـــصبح في المقدمة دائمًا.. لا تسمح لأحد أن يسبقك.. هذا هو شعاري، طلبت من "حمدي" الساعي الخـــاص بي أن يـــستعجل "ريم" السكرتيرة ..وأنا أشبك أصابعي، وأطلب كوب القهوة، كنت أشعر أن الأداء اليوم أبطأ مما ينبغي، ربما يحتاج الأمر إلى بعض الحزم.

****

_آنسه "ريم"...حضرتك لقيتي الملف؟

_لسَّه يا عم" حمدي".. هتجنن مش لاقياه..كان هنا يـــوم الخميس.. إنت عارف لما بابا تعب ومامـــا كلمـــتني نزلـــت جري!!

بتوتر تكلم "حمدي":

_عارف يا بنتي عارف... بس دوَّري كويس الأستاذ "علاء" عايزة دلوقتي مش عايزينه يتنرفز علينا على الصبح كده.

التفتت إليه "ريم" بغضب:

_هو بيتعامل بالعصبية دي ليه أصلاَ.. إحنا موظفين وهو صاحب شركة مش عبيد عنده.

أشار لها "حمدي" العجوز لتصمت قائلاً بصوت منخفض:

_وطي صوتك يا بنتي..إنتي عايزاه يسمعك؟

أجابته بعطف وهى تربت كتفيه:

_إنت بتخاف منه للدرجة دي يا عم "حمدي" ؟!!

تنحنح "حمدي" العجوز وابتسم:

_مش خوف يا بنتي عشان أكل العيش ربنا يهديه.. إنتي جديدة في الشركة ..مشوفتيش الأستاذ "علاء" زمان ..من ساعة موضوع "آسر" الله يرحمه وهو رجع عصبي أكتر من الأول كمان.

_أنا مش فاهمة مين "آسر" ده بقى؟

أفزعها صوت الهاتف..وقطع حديثها فالتقطت السماعة الهاتف قائلة:

_أيوه يا أستاذ "علاء".. دقيقة وهبقى عند حضرتك..

أغلقت السماعة وتوجهت نحو باب المكتب وطرقته قبل أن تدخل منه..

*****

رفعت عيوني عن الأوراق عندما دخلت "ريم" عرفتها من رائحة عطرها.

_ملف طوكيو اترجم يا آنسة "ريم"؟

صمتت "ريم" لدقيقة كاملة فكرت فيها بما ستجيبه ثم وجدت أن الصدق منجٍ دائمًا..

_الحقيقة أنا لسَّه بدور عليه و...

قاطعها "علاء" بلهجة أفزعتها:

_بتعملي إيه.. بتدوري عليه؟.. ليه حضرتك مش عارفة مكانه؟؟

اضطربت "ريم "وهي تجيب:

ـــلا.. عارفة طبعا.. بس لما جيـــت النـــهارده مكـــنش في مكانه.. أنا لسه بدور عليه.

وقف "علاء" كمارد يوشك من غضبه على ابتلاع المحـــيط قائلاً في غضب:

ـــإيه التهريج ده إنتي المسئولة هنا يا آنسة.. يعني إيه ملـــف يختفي.. القطة كلته ؟!

ابتلعت توترها مع ريقها في صعوبة وهى تنطق:

ـــأستاذ "علاء".. أنا..

قاطعها في غضب:

ـــإنتي إيه ..أنا مش عايز أعذار.. دلوقتي حالا تدوري على الملف وإنتي متحولة على التحقيق.. بسبب الإهمال..

أجابته "ريم" بصوت متقطع :

ـــوالله يا أستاذ علاء مش إهمال ده.

قاطعها للمرة الثالثة: لو كنتي بتـــهتمي بـــشغلك نـــصف اهتمامك بشكلك مكنش الملف ضاع..

حاولت أن تنطق..إلا أنه أخرسها بآخر طلقة في مـــسدس كلماته:

ـــآنسة "ريم" اتفضلي المقابلة انتهت.

كان وجهها يموج باللون الأحمر بمزيج من الخجل والغضب قبل أن تنصرف من المكتب.. هتفت في أعماقهـــا دراكـــولا صحيح!

*****

بعدما خرجت "ريم" جلست في مقعدي قليلاً أنظـــر مـــن النافذة..أتناول حبوب القلق بكوب من الماء لكي أهدأ قليلا.. منذ فجر حياتي وأنا في صراع مع الجميع..مع جدي لكي أثبت له أنني أصبحت جديرًا بالثقة..ومع مشاعري التي تباغتني قليلاً وتصر على أن تخرج من حبسي الأبدي لها ..منـــذ زمـــن لم يدخل شيء جديد إلى حياتي ..أتذكر وأنا أنظر مـــن النافـــذة "آسر" الصغير وأذكر التغيير الذي أحدثه في قلـــبي ..ثم أذكـــر عودتي إلى حالتي تلك بعد موته..أنظر إلى صورته الـــتي تـــزين مكتبي وأتذكر.. أتذكر كل شيء ..

*****

_علاء ..صباح الخير يا باشا

_أهلا يا "اشرف" صباح الخير..

_هتعمل إيه النهارده؟

_مفيش شغل كالمعتاد..إنت عارف..

_طيب ما تيجي معايا ..

_فين؟..وبعدين مفيش وقت أصلاً يا "أشرف" إنت عارف.

_نص ساعة بس يا علاء..العربية عطلانة ..ومش هأخرك ده وعد.

_ماشي..هعدي عليك..

في الطريق إلى مترله، فكرت في أن أتراجع وأعتذر ولكن مشكلة "أشرف" أنه كان دائمًا معك ألطف مما ينبغي لا مشكلة في بعض الدقائق... لا تتجاوز النصف ساعة يا "أشرف" بأي حال من الأحوال.

_إزيك يا باشا..

_الحمد لله يا "أشرف"..على فين

_ هقولك وإنت ماشي بس متسألش شوية يا أخي ..

_ماشي..

*****

أنا "آسر" لا أعلم "آسر" ماذا ؟ ولا أعرف ما هو تحديدًا المكان الذي أنا فيه الآن ؟ إلا أنني أرى دائمًا وجه ذات الرداء الأبيض البشوش ذاهبة وآتية واختفت تلك التي كنت أراها من

قبل وأنا أحرك "دُبِّي" الوحيد ذهابًا وإيابًا.. وهـــي تتحـــدث بجانبي بصوت أفتقده كثيرًا.. انطق كلمتين ولا أدرك غيرهما.

كنت ألمح التردد بداخل عيون البشر، عندما ينظـــرون إلى يدي، وهي تقوم بحركتي المكررة، ولا أعلم لماذا يحبطون، وهم يتحدثون إليّ ويتحدثون، وأنا لا أفقه حروفهم، فماذا عليّ أن أفعل حينما يتحدثون؟ أنا لا أفهمهم، ولا أفهم لماذا أتوا بي إلى هنا؟ وأخذوني من غرفتي القديمة حينما أتـــوا بي؟ في البدايـــة، أخذت في الضرب على رأسي كثيرًا، لم يأبهوا بي، وبالتدريج، اعتدت غرفتي الجديدة، وضعوني مع باقي الأطفـــال، ولكـــني أخذت في الصراخ، لم يفهموا أني لا أحتمل سمـــاع الـــصوت العالي أساسًا.. وأتى أحدهم بنظرات طبية أخذ في التحديق إليّ طـــويلاً وأخـــذ في التحـــدث ثم نقلـــني إلى غـــرفتي المليئـــة بالنجوم..كنت أقرأ النظرات، فأفهمها، ولا أســـتطيع أن أرد، فقط أفهم ما يقال، عندما ينظرون كلهم، أفهمهـــم إلا "دبي" الكبير لا أفهم عينيه لا أعرف فيما تختلفان!

كنت ألعب بـــ"دبي" وأحركه وأضـــحك.. وأضـــحك.. وأضحك..بصوت مرتفع.

ثم أفتقد الجميلة، التي كانت تدندن بجواري، واعتـــدت أن أراها كثيرًا، فبكيت، وبكيت، وبكيت.. لا أعلم أخذت أردد اسمها

- ماما، ماما.. تجحظ عيناي وأحرك أصابعي فلا تأتي.

_ إيه ده؟؟جمعية خيرية!!..إنت بتهرج صح؟

_لا خالص ..هتطلع معايا ولا هتستناني هنا؟

_هنطلع فين؟ ..إنت بتصدق الناس دي أصلاً..وإيه اللـــي يطلعك مكان زى ده؟!

بابتسامة يجيب..

_مكان زى إيه ..هي خمارة؟!

_لا بس دول معظمهم حرامية أصلاً..ولو مش حرامية إيه اللي يخليك تساعد حد

يقاطعك مرة أخرى بإشارة إلى السماء وهو يصعد ســلالم الجمعية ..

أف..عليَّ أن أنتظر حتى يعود.. ربع ساعة مضت..وذلــك العبقري بالداخل.. ربما الحركة أبطأ مما ينبغي، ربما يجب فقــط أن أصعد لأرى ما يفعله، من باب الفضول ليس أكثر ..عمنتهى القوة تدخل عن طريق الباب تتصل به فيخبرك أنه في غــرف الأطفال ..يا للغباء ..أصعد لأراه..المشكلة في ذلك المكان عدم النظام ...كل هذه غرف.. والأسوأ أنه لا يوجد أحد لأستفسر منه عن الطريق..ولكنني وجدت نفسي بالرغم مني أدخل لتلك الغرفة التي لا يوجد فيها إلا طفل وحيد..لا ينقصني إلا هذا..

طفل متخلف..ولكنني لاحظت أنـــه لم يتلفـــت لي منـــذ أن دخلت.. ألم يربي أم أنني الذي خارج نطاق رؤيتـــه، لا يهـــم ولكن حركته المتكررة استفزتني للغايـــة .. تتأملـــه بـــصمت ..لتجد يدًا تربت على كتفك..

_جميل "آسر"

_ هو اسمه "آسر"..تكلمه باهتمام حقيقي تستغربه

_أيوه.

_هو أعمى..ولا إيه أنا مش فاهم

_ لا "آسر" متوحد يا أستاذ..حضرتك اسمك إيه..

_علاء..متوحد يعنى إيه .. وفين أهله طيب..صحيح ومين حضرتك؟

_أنا محمود ..إخصائي التخاطب في الجمعية..وآسر يتيم.. متوحد يعني إيه؟ همم ..شايف الدبدوب اللي هو ماسكه ده؟

_أيوه.. قديم أوى بس

يقاطعك...

_مقصدش شكله..هو مش شايف إن فيه فرق بينك وبينه غير إنك بالنسبة له حد مزعب هـــو فاقـــد التواصـــل ....أو

بأسلوب علمي بقى..التوحد ده إعاقة.. بتقلل من استيعاب المخ للمعلومات و بتأثر في كيفية معالجتها فبالتالي ..بيحصل مشاكل في كيفية الاتصال بين المتوحد ومن حوله..إنت ممكن تبص له من بعيد زى ما بنعمل كده.. بس هو مش بيسمح لأي حد يقرب منه ..ولو كلمته مش هيسمعك ولا هيهتم .. ببساطة هو بيعيش في العالم ده لوحده مش بيهتم بوجود الآخرين من عدمه .. مش بيفرح لما بيشوف أي حد ولا بيحزن لابتعاد أي شخص ..لو حاولت تركز مع عيونه هتلاقي إنه مش بيبص لك وأنت بتكلمه ..ومش بيحب وجود الآخرين من حوله ولا بيشاركهم اهتماماتهم... وميحبش إنهم يشاركوه في أي شيء... بيحب يلعب لوحده .. ومش بيحب يختلط بالأطفال الآخرين..ده التوحد باختصار مخل ..

ـ يعنى لو قربت منة هيرفض ..

بابتسامة ودود يرد:

ـممكن تجرب..

أجلس أمام الطفل على البلاط ببذلتي التي أخشي عليها من كرسي مترب..أجلس وأحاول أن ألمسه ..إلا أنه يبتعد في ذعر ولا ينظر إليّ من الأساس!!!

أنظر للطبيب..لأجد "أشرف" بجواره ينظر إليّ بدهشة..فأشكر الطبيب وأسأل "أشرف" عن معلوماته عن ذلك المكان..

بعدما أوصلت "أشرف" جلست قليلاً في العربة أفكر..في كلمات الطبيب...بمتوحد..متوحد بغير إرادته أخذت أنظر إلى وجهي في المرآة وأنا أردد الكلمة أخذت أتذكر مواقف عديدة.. أبي المريض.. "ريم" السكرتيرة.. عم "حمدي" العجوز الذي أرهقه بالطلبات.. الكثير ممن حوله يعيشون في هذا العالم بمفردهم لكم أصابتك الجملة في مقتل أصابت كبد الحقيقة.. كم يشبهك!!..قشعريرة باردة تسرى في عمودك الفقري.. وإحساس غريب بالضياع يملأ كيانك..ولكنك نفضت الأمر برمته من رأسك وأنت تهزها بعنف..فليتولاهم من خلقهم من الأساس..تعود إلى العمل.

*****

أستطيع أن أحصى أوراق تلك الشجرة بنظرة متأملة، وأستطيع حساب كم يأخذ جناح الذبابة من وقت ليرتفع بها إلى السماء؟ ألمح أشياءً قد لا تراها، ولكنى لا أستطيع أن أنطق جملة تفهمها وأنا خائف وللغاية لا أعرف أين يذهب الجميع ؟ومن أين يأتون؟.. ولكنى أحفظ الأوقات.. الطعام في السابعة.. والخروج للفناء في التاسعة، يوم الاثنين نأكل سمكاً

ويوم الأربعاء لحمًا، أتسلى بعد الفراشات في الحديقة، وأعد بقع الألوان على ظهرها ..أشعر بالوحدة وبالخوف.. لا أعرف، لماذا يدي ترتاح عندما أضع أصبعي الوسطى على السبابة؟ وأبدلهم طوال اليوم أفعل ذلك وأضع يدي على وجهي، لأهرب من شيء أخافه كثيرًا بحركة قد تبدو لك متذبذبة، ولكنها فقط تحدث بدون تحكم مني، حتى وأنا أرسم، أضع خطين وخطًا وحيدًا، والوحيد خائف وأنا أشعر بالخوف الشديد وبالبرد أذهب بعيدًا عن الجميع، أنزوي في الركن في أي مكان جانبي لا تضعني في المواجهة أبدًا فأنا لا أتحملها.

*****

عاد "علاء" إلى بيته متعبا ذلك اليوم..كانت مربحة تلك الصفقة الأخيرة مرهقة ومربحة..هاتفك كان يرن منذ الصباح بنغمة مكررة..نغمة المترل القديم..تتحدث صوت أمك المنتحب ينبئك عن الأمر.

_أبوك مات يا "علاء"..

_البقاء لله يا ماما..إمتى؟

تجيبك بأنه دفن وبأنها كانت تتصل بك لكي تأتى لتأخذ عزاءه ..بلهجة اعتادت على النبرة الميكانيكية تحدثها بأنك ستكون معها في الصباح..غدًا يوم ضائع ..أف تعود إلى العمل.

*****

كانت غريبة نظرات ذلك الشخص الذي أخذ ينظـر إليّ كثيرًا، أستطيع أن أرى بجانب فمه تجعيـده، تـشي بـالحزن والوحدة لا بكبر السن، ولكنه ذهب، بدون أن يظل معـك لم تدرك أنت أساسًا ما حدث، كل ما شعرت به أنه في لحظـة صار قريبًا منك.. أيمكنك أن تناديه؟ كيف لا تستطيع الكلام ؟ ولا تعرف كيف تنطق؟ ولو عرفت فلن يسمعك ..حينها مـن أعماق روحك ناديت بصمت.

*****

مضى أسبوع منذ أن رحل أبوك، أنت مستغرق في عملك تمامًا، تلك الفترة حققتم الكثير من الأرقام القياسية..ولكنـك الآن أصبحت تـتفهم الـصدمة تمامًـا، معـنى أن يرحـل أحدهم..نظرة أمك الحزينة أنبأتك..لأول مـرة في حياتـك شعرت بأن حياتك خاوية..كل ما بها هـو عمـل..عمـل ومعارك..عن أي حياة تتحدث بل قل قانون غابتـك الـذي يحكمك ..كنت تحتاج إلى صديق.."أشرف" لم يأت في بالك غـيره ..موبايلـه مغلـق بالتأكيـد سـيكون في تلـك الجمعية..توجهت إليها..تصعد السلالم وبرغم أنه أنبأك بمكان جلوسه المرة الفائتة إلا أنك ذهبت إلى غرفته في غرفة "آسر".. لم يلتفت إليك ..من الأساس كان يرسم حاولت إن تـساعده فلم يلتفت ولكنه لم يصرخ أيضًا ..تحدثت معه عن أبيك وهو لم يلتفت فقط حينما توقفت عن الحديث .. التفـت ينظـر

بالقرب منك بنفس النظرة الخاوية وبرغم كل المراجع التي تصر على أن نظرته خاوية، ولا يمكن أن تعبر عن أي شيء إلا أنك برغمهم جميعًا، رأيت خوفًـــا، وشـــعورًا بالوحـــدة أشـــعرك بالصقيع.

*****

لا تعلم، لماذا شعرت به قبل أن يأتي حينما دخل لم تعـــرف ماذا يفترض أن تفعل؟ ولكنك صمت، وهو يقترب، لم تصرخ كعادتك، لم تخبط بيديك على مؤخرة رأسك وتصرخ فقـــط، صمت وهو يأتي، ويساعدك في الرسم وفي الضحك، لم يحدث من قبل أنك تحركت أو حاولت أن تتحرك نحو أي شخص أو أسعفتك التعبيرات، جلست فقط كما اعتدت وهو ينظر إليك وأنت تنظر إلى العدم وتراه بدون أن تعلم كيف تخبره بأنـــك تراه .

*****

_دكتور" محمود"...

_أيوه يا "سمية".

_شايف يا دكتور .. شايف "آسر" .

_تبتسم آه شايفة ماله.

_هو كده خف، مش حضرتك قلت إنه مـــش بيـــشوف حد.. ولا بيسمعنا، أمال ليه حاسة إنه يعرف أستاذ "علاء" ده

أنا كل يوم كنت بخده جلسات التخاطب والعلاج وعمره ما شافني أصلاً أو بص لي.

ـ أنا قلت فيه حالات من التوحد كده.. التوحد درجات يا سمية.. فاكرة أول مرة جه "آسر" بعد ما أمه توفت وجابه جارهم، كلكم استغربتم لأنه مش بيكرر غير كلمتين بس منهم ماما ومش بيعرف ينطق.. ولأن صوته كان صراخ دايمًا.. وهزهزته وحركته الغريبة ..التوحد فيه حالات استجابتها عالية وفيه حالات تانية صعب التعامل معها.

ـ وإنت مش ممكن تعرف يا دكتور مش حضرتك عملت له اختبارات وعلمتنا إزاي نبدأ في التدريب معاه!!.

ـ الاختبارات بتنور لينا شمعة بس فيه سرداب مظلم للغاية، لم تحدثها عن الأطفال المتوحدين الاسبرقز... الذين يملكون قدرات خارقة... مثل حفظ دليل الهاتف بأرقامه جميعًا أو حفظ الأحرف جميعًا.. لم تحدثها عن طفل متوحد تمكن أبوه أن يجعله يحفظ القرآن وآياته فيكفى أن تذكر له اسم الآية ليخرج لك في لحظات الصفحة من المصحف.. عبر عنهم للغاية فيلم "رجل المطر"..الأمريكي.. يمكن أن يصبح أناس مثل "آسر" نابغين برغم توحدهم ويمكن بقليل من الاهتمام أن يصبحوا مخترعين أو علماء.

وأنت تخطو خارج الغرفة سألتك مرة أخرى:

ـــ دكتور طيب هو كده خف..صح.

تبتسم وتشير بيديك إلى السماء.. هو فقط من يعلم بمـــاذا يشعر الآن

*****

منذ أن عرفت "آسر" وحياتك تغيرت للنقـــيض، أصـــبح موعد "آسر" مقدسًا تذهب إليـــه كـــل يـــوم تجلـــس بـــين يديه..اقترابك من روحه جعلك آخر غير ذلك العنيد..جعلك ترى الضعف في البشر وتحترمه .. عالجك "آسر" مـــن حالـــة توحدك وأنت لم تستطع حتى أن تزرع ابتسامة على شـــفتيه.. أصبحت من المهتمين بالعمل الخيري.. تـــشاركهم كـــثيرًا في توزيع الطعام في مناطق لم تكن تعرف أنها موجودة أساسًـــا.. قرأت أكثر عن مرضه... تابعت حالته..درست التخاطـــب في أكثر من مكان وتعلمت الكثير من التمـــارين الـــتي حاولـــت تطبيقها معه.. جعلك هذا أكثر تواصلاً مع البـــشر..جعلـــك "آسر" ترى قدرة الله فيك وترى نعمة الله عليـــك وحكمتـــه ورحمته التي أحاطت بك منذ مولدك وعلمك أن تشكر الله، في عملك تغيرت شخصيتك أصبحت أكثر لطفًا في المعاملة تحاول دائمًا أن تكون عادلاً لم تتخل عن تفوقك ولكنك أصـــبحت

تساعد الجميع والابتسامة أصبحت لا تفارق وجهــك، كــل شيء أصبح منظمًا وفى موعده.. الصلاة في مواقيتها، تمــارين "آسر" في مواعيدها المرور على أمك اليومي، وجهك تغير أنار، وأصبحت بشوش الوجه وحلو الحديث حتى..

حتى حدث ما حدث!!

*****

أذكر صعودي ذلك اليوم إلى غرفته الخاوية، كانت نظــرة الجميع تنبئني بأن في الأمر حدثًا ولكنى لم أفهم ..أذكر دخولي إلى غرفة "محمود" لأبحث عن "آسر" ..أذكر نظرته المطرقــة.. وكلمة البقاء لله.. لم أصدق ..طوال الطريق إلى المترل لم أفهم.. لم أبك ولكن الجبل بداخلي تصدع فجأة.. لم أجد مكان سوى هنا في مكتبي ..والآن بين صورته ونافذتي ..أتذكر تركي لكل شيء ..للجمعية التي لم أستطع أن أعبر درجاها مرة أخــرى.. تركي للبلد كلها لــشهرين لأعــود أســوأ ممــا كنــت في البداية..تغيير أرقام هواتفي جميعًا..لا أعلم لم أشعر الآن بندائه بداخلي ..حقيقة لا أعلم..ولا أعلم أيضًا لماذا وضعت الشريحة القديمة في الهاتف وأوقفت استقبال المكالمات الآن، رنين الهاتف هو ما أفاقني قليلاً..

ــالو..

ـ إزيك يا "علاء" ..

ـ أهلا إزيك يا دكتور "محمود"

ـ الحمد لله..كنت عايز رأي حضرتك في حاجة

ـ أكيد..

ـ فيه كذا حالة توحد في المركز جم جداد ..وأنا بحاول أكون فريق من المهتمين

قاطعته بحدة..

ـ لا أظن يا دكتور وقتي محدود زى ما حضرتك عارف

ـ أكيد ..بس أنا مش بكلمك عشان تبقى واحد من أعضاء الفريق

ـ أمال..تمويل مادي..أنا مستعد

يقاطعك بدوره تلك المرة

ـ لا أنا بكلمك عشان عايزك إنت اللي تقود الفريق ده..خبرتك في مجال التوحد كانت بتبهرني أنا شخصيًا..إنت كنت متعمق أوى في دراسة الحالة ..وحرام يبقى عندك العلم ده ومتفيدش الناس بيه.

ـ أيوه بس

يقاطعك مرة أخرى:

ـ بص يا "علاء".."آسر" في الجنة مش لعلم ..بس لأنه ما ارتكبش ذنوب..دخل الدنيا وخرج زى الملاك..وأكيد دلوقتي هو في مكان أحسن وشايفك منه ..مش عايز منك رد..فكــر وبس.

ـ موعدكش بحاجة..بس هفكر ..سلام.

ـ في أمان الله.

وأنت تغلق معه ..طلبت من "حمدي" أن يبلغ الـــسكرتارية بعدم الإزعـــاج لأي ســـبب.. ونظـــرت مـــن مكتبـــك إلى البعيد..لتجد صورة "آسر" القديمة تحتل تفكيرك.. وشـــعرت ببلل يغزو خديك لتكتشف أن الدموع تنبت من قلبك لتبقـــى بطرحها على عيونك على ذلك الملاك أخذت في البكاء، منـــذ سنوات وخدك الجاف لم تباركه موجات المشاعر والخـــوف.. تتذكر مواقف معه ..يوم حاولت أن تربت كتفيـــه وابتعـــاده المنكر للمستك.. ذعره..ضحكته التي أتت بعد الكـــثير مـــن التدريب .. تتدفق في روحك بالرغم منك موجات العطـــف والحنين فتكسرك ..تتذكر نظرة عينيه الخـــاويتين .. أصـــوات الأنين والحزن التي كانت تنبعث منه كطـــير وقـــع في شـــباك الصيادين بغير ذنب..تلقى على صورتك معه نظرة أخـــرى ..

دموعك الآن تنساب بلا أي مقاومة تروى عطـــش القلـــب، تنهمر الدموع الآن منك وتنهمر تتخبطك ذكريات ولحظـــات كثيرة ..كل ما كنت تتمناه هو ضمة أخيرة لبدنـــه الـــصغير.. ليغفو بين ذراعيك وتغفو معه...تنظر مرة أخرى إلى الطريق.. وتتذكر كلمات الطبيب: فريق توحد ..تدمدم..من يعلم ..

صورة خلف مكتبك لكلمة "الله" بالذهب علـــى خلفيـــة سوداء أجابت بدون أن تشعر..بأن الله وحده من يعلم

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

[يونس : ٣٥]

طبعا أنا ملحد..

يا اللي بتسبحث عن إله تعبده
بحث الغريق عن أي شيء ينجده
الله جميل وعليم ورحمن رحيم
احمل صفاته.. وإنت راح توجده
(عمنا صلاح جاهين)

أشعل "خالد" سيجارته وفتح جهاز اللاب توب الخـــاص به.. اليوم سوف يفعلها.. تردد قليلاً شعر بقـــشعريرة بـــاردة تزحف على عموده الفقري فارتجف، للحظة قرر أن يتراجع ثم تذكر إرادته التي جعلته يقوم بكل ذالك منذ البدايـــة ســـحب نفسًا آخر وسجل دخولاً إلى إيميله ووضع العبارة التي ســـوف تظهر حقيقة انتمائه الفكري التي أقلقت نومه لأيام، تردد مرتين قبل أن يكتب العبارة ثم حسم التردد وضغط

Enter

ليدخل العبارة ويدخل هو إلى عالمه الذي صنعه بإراداته...

"الله لا وجود له.. الله أوجـــده الـــضعفاء لكـــي يـــبرروا ضعفهم.. والجبابرة لكي يجدوا من يتجبرون باسمه"

***

أنا "خالد محمد فرج الله" والدي هو الشيخ "فرج الله".. من رموز الحركة الإسلامية في مصر ليس كذلك فحسب بل إن جدي الذي يتكلم أبي عليه بما يشبه الرهبة حتى بعد أن رحل جنوبًا _كما كان يصف قدماء المصريين رحيل موتاهم - ما زال يتحدث عليه ويؤمن على من يتحدث عن كراماته بعبارة - إحنا هنروح فين فيه - كما ترى أنا نموذج لشاب مسلم محظوظ لو سار الأمر كما رتبه لي أبي، لكنت أحد الدعاة الذين تملأ صورهم القنوات الفضائية ولكنه لم يحدث لحسن حظي، تمر بي لحظات تؤرقني فيها بحار الذكريات وتصر على الثورة على حبسي لها فأغمض عيني لحظتها وأحررها قليلاً فتجرفني موجتها فأغوص ببحر الذكريات فأتذكر وأتذكر، أتذكر أيامًا سوداء قضيتها في دراستي الأزهرية التي سمحت لي بأن أرى الفكر الإسلامي على أصوله، أتذكر رفض أبي أن التحق بكلية الفنون الجميلة التي فضل عليها كلية الشريعة والقانون لكي أظل تحت رعايته أتذكر كيف أحرق أوراقي واتهمني بأن الشيطان يبارك طريقي.. حسنًا إذن فليبارك ذلك الشيطان إن وجد حياتي الآن، والدي هو صورة قاتمة للإسلام البغيض الذي أجد صورته دائمًا في خيالي كلما تحدثت مع أي مسلم ملتزم.. أبي هو المثال الواضح لأي مسلم كما يجب أن يكون فهو ملتزم طويل اللحية قصير الجلباب.. كلامه دائمًا

وأبدًا بأحاديث الرسول الذي يصر دائما على ذكر كلمة عليه أفضل الصلاة والسلام وهو يدمــدم بخـشوع... أرأيــت في حياتك مثالاً أوضح من ذلك على المـسلم الملتــزم بتعــاليم كتابه... هههههههههههههههههههههههه إنها حقــا عائلــة محترمة أب شيخ وأم منقبة وجد أقل ما يقال عنة أنه كان يملك بركات.. عن أي خرافات يتحدث ذلك العجوز المأفون.. أنا أكرهك يا أبتِ أكرهك وأكره اسمك الملتــصق بي كالتــصاق البعوضة بالجلد الرطب في يوم حار... أكره ذلــك الــشرف المزيف الذي يمنحني اسمك إياه..ملعون أنت وملعــون ذلــك الاسم وملعون اليوم الذي ألقيت فيه بنطفتك القذرةِ لأتكــون وأنا جنين لأب مثلك .

***

اليوم هو اليوم الثالث في تاريخ ميلادي وتــاريخ تحــرري أيضا.. لأول مرة أشعر أنني حر بيدي تلك كسرت ذلك القيد الذي كان يقيدني إلى معتقدات لم أكن أؤمن بها يومًا.. لمــاذا انتظرت طوال هذه السنين، الحياة لا تأتى إلا مرة واحدة إنــني الآن خارج عن كل الأديان متخلٍ عن كل المعتقدات الباليه.. إله هذا العالم هو العلم وهذا ما أنتمي إليه المنطق العلمي الذي يشكك في أي شيء وكل شيء.. أي فرضية تحكم الوجــود الآن يمكن أن تصبح غدًا خرافة ببعض البحث وبعض المنطــق

فما بالك بكلمات لم تتغير منذ أربعة عشر قرن، وما يهمني أنا في خلاف حول زوجات الرسول إذا كنت لا أومن برسالته أساسًا... سر تخلفنا طوال هذه الفترة هو تمسكنا البالي بمعتقدات لا يمكن لها إلا أن تحكم قبائل تعمل برعي الأغنام وتحارب فيما بينها طوال اليوم على سبيل التسلية..لأننا تمسكنا بتعاليم الأزهر العتيقة واستمعنا لسلاطين تحكم بشرع الله انظر ماذا أصبحنا، لأنهم في الغرب تخلوا عن هذا الفكر المتخلف منذ زمن فانظر أين أصبحوا.. لا تتحدث مثل أولئك المغفلين بأن الفرق بين الإسلام والمسلمين كالفرق بين الذهب والنحاس، وبأن روح الدين تحمل الكثير والكثير .. أليس هؤلاء الشيوخ الذين يباركون حكم طاغية ويدعون له من على منابر المساجد هم أعلم الناس بالدين وأكثرهم حفظًا للنصوص، أليست أفعالهم الخسيسة خير دليل عليهم وعن روح الدين المزعومة!!

أليست كلماتهم التي تردد ليل نهار عن الإسلام وعدالته هي التي تتكلم مرة أخرى وتذكرنا بوجوب الانصياع لحكام ورجال يغتصبون يوميًا آدميتنا.. أليسوا هؤلاء الذين يتحدثون عن الإسلام وعدله هم الذين يربتون على بطونهم الكبيرة في بلد لا يمتلك فيها الكثير ما يسمح لهم بأن يقفوا على أقدامهم حتى.. من فينا الأقرب لروح الدين إن لم يكن هؤلاء؟؟

أنا الآن أسعد حالاً وأكثر اطمئنانا من حالتي حينما كنت أغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقد ديني لم أومن به قط... يقولون

إن أبي حينما سمع الخبر أعلن أن ابنه قد دفن منذ زمن بعيد، الجميع الآن يعاملني كالمجنون، بل يتعاملون معي أحيانًا كمجذوب يحمل رائحة غير محببة للأنفس.. لا يهم أنا أحدثك أنت فقط أيتها الأوراق فأنت من سيشهد لذلك العصر أنني كنت على حق.. ثم ولما أهتم بهم ألم يكذب أجداد هؤلاء كل الأنبياء الذين يتبعون رسالتهم الآن إن وجد هؤلاء الرسل من الأساس.. ألم يكذبوا حملة الوحي.. ألم يروا "جبريل" ولم يعرفوه وكل تلك الخرافات الأخرى.. بمن أهتم أنا.. كل ما يضحكني هو "محمد" غريب هذا الفتى بحق.. يصر على أنني سآخذ وقتي.. ههههه.. ساذج يظن أني أحد من الخراف التي ضلت الطريق إلى مراعى الرب الممتلئة بالنعم.. اليوم سوف يجيء لنتحدث قليلاً.. من أجل الصداقة سأجعل الحديث يبتعد كل البعد عن الدين.. لن أحدثه في معتقداتي ولن أحثه أن يؤمن بها هو لن يؤمن بها وأنا لن أهتم إن آمن بفكري أو رفض.. علقت حكمة كبيرة على باب مكتبي تقول "من كانت له عيون للبصر فليبصر.. ومن كانت له آذان للسمع فليسمع" تسألني يا صديقي المتلهف على إثبات قوة دينك بمنتهى الحماس لماذا أنا ملحد.. قل لي أنت ولما لا أكون ملحدًا.. لماذا أنكر وجود الله؟ دائما ما يسألوني هذا السؤال دائما يا صديقي العزيز وأنا بدوري أسألهم لماذا انتم تؤمنون به؟ أي إله يرضى

بأن يتقاتل أبنائه ..ومن يرضى بأن ألقي جزائي في الآخرة أنت تريد ان أحرم نفسي من كأس النبيـــذ الـــذي يـــثير نـــشوتي وجنوني.. وأن أترك أعمالي خمس مرات في اليوم من أجـــل أن أسجد لآلة لم أره وماذا أعطاني.. ماذا.. عينان وشفتان و..و.. ومن قال لكَ بأنه موجودا ها أثبت لي...لا تحـــدثني بالكتـــب السماوية فانا لا أؤمن بها بل حدثني بالمنطق أنا لا أجد أي دليل مادي يؤكد وجود الله، فهل لديك أنت أي دليل على وجوده؟ وأي إله فيهم هو الحق ..ها؟ لا تنظر إلى كمجنون أجبني فضلا وبمنطق أي اله من المفترض أن أعبده أهو أله المسيحية المثلث أم أله اليهودية الذي فضل اليهود على باقي البشر أم إله الإســـلام الذي انتشر بالسيف والذي رأيت كيف يطبقـــه أبي، يطبقـــه بضرب أمي لأنه من حقه.. يطبقه بالزواج من اثنين أخريـــات لأن الله أباح له ذلك.. الله أباح له أن يضربني وأنـــا الطفـــل الصغير لكي ألحق بصلاة الفجر التي لا أرى مـــن ورائهـــا أي طائل سوى إضاعة نومي من فضلك حدثني بمنطقية....

***

يعتقد "محمد" دائمـــا في الله ..يعتقـــد في القـــوة المطلقـــة لوجوده.. ربما كانت مشكلته مع من حوله هو التطبيق السيئ للإسلام.. أكثر ما يثير حفيظته هو منظر شيخ سني بذقن طويلة ووجه متجهم وزبيبة صلاه كبيرة..وهو في الأصل سارق.. أو

منقبة تطل عيونها لتغريك على معصية الله بالنظر وإطالتـــه إلى جمال رسم عينها وتقاسيم جسدها التي أحكمت العباءة مـــن حوله..حينما رفض الجميع حتى و أن يتحدثوا مع "خالد" بعد ما فعله..تقدم هو..ربما لأنه يعرف أن الأمر لا علاقة له بالدين من الأساس ربما لأن بحكم العشرة كان قـــد ألفـــه...يـــذكر "محمد" حديثة مع صديقة قبل ذهابه إليه:

ـ صدقني إن ما يرفض ليس الله ولا وجودة ولا الإســـلام ومشكلته ليست معهم على الإطلاق.

ـأنت بتضييع وقتك اللي زى "خالد" ده يضرب بالجزمـــة زى أي برص تجيبه من على الحيطة بالشبشب... عـــارف ده حكمة أيه القتل يا "محمد" القتل!.

ـالفقهاء اختلفوا في الموضوع ده.. وبعدين حتى يا سيدي المتشددين للقتل حكموا بضرورة الاستتابة..

ـأنت ليه مش فاهم الحكم حكم.. سمعنا واطعنا.. يقتـــل يعني يقتل..

ـهممممممممممم.... سمعنا وأطعنا مش يتبقى في

تطبيق الأحكام يتبقى في العبـــادات في إن صـــلاه الفجـــر ركعتين مثلا مش في الحدود.. هديلك مثال عارف أنت "عمر

ابن الخطاب" أوقف حد السرقة في عام الرمادة عشان النـــاس كانت بتسرق عشان تأكل .

ـ لا طبعا مستحيل يكون "عمر ابن الخطاب" عمل كـــده ولو ده صح يبقى "عمر ابن الخطاب" فاهم ده "عمر"كلامـــه مقدس يعني .

ـ لا ده حصل.. ومفيش قدسية في الإسلام كل يأخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا المقام(الرســـول صـــلى الله عليـــة وسلم).. في مشكلة في فهم تطبيق الحدود عندك.. طيب أنت عارف أشد حكم في الإسلام من وجه نظري أيه؟..

ـأية يا فالح، السرقة؟..

ـلا الزنا... لان تطبيقه يا إما الموت لو أنت متزوج، يا إما أنك تجلد مائة جلدة بدون رحمه أمام الناس. عارف حكم الزنا أتطبق كام مرة في الإسلام في وجود الرسول؟.

ـكتير طبعا.

ـمرة واحدة يا "حازم" مرة واحدة بس.

***

أختلف كثيرا مع شيوخي.. وأساتذتي الذين أجلهم.. مـــا بين روح الدين والتمسك بأشياء لا أفهمها.. ما هو جدوى أن

يتحدثوا عن بركات بول الرسول صلى الله علية وسـلم.. إن كان رسول الله غير موجود بيننا.. ما هي فائدة أن يصعد عالم كبير ليتحدث عن بركات بول الرسول وآخر يتحـدث عـن رضاع الكبير بينما نتحدث نحن حول البشر الذين صعدوا إلى القمر..ما هي فائدة أن تظل تذكر للناس قـيم وقـوة الـدين الإسلامي .. وأنت لا تطبقها.. أفلا نعقل؟.. أتسائل دائما عن سر تأخر الدعوة والدعاة في مصر بلد الأزهر الشريف..أفكـر قليلا ربما لأن علماء الدين خانوا العهود مع الله.. كيف تصدق شيخا.. يحدثك فتدمع عينيك، ثم تراه راكبا عربته بعد ذلـك وصوته الذي كان رحيما انقلب فأصبح صوت غول.. كيـف ينهاك أحدهم عن السرقة ثم تجد ذمته المالية محل جدال.. لمـاذا نتحدث دائما عن حرية المرأة وفى داخلنا يكمن ذلك الـشرقي العتيد الذي يؤمن بأنها عبده ..حتى وإن حررهـا الإسـلام" وحررتها الثورات.. لماذا ولماذا.. ألف تساؤل يجيْ على بـالى فينقلب عقلي إلى ملعبا للصراع لا أرتاح إلا حينمـا اخفـض جبيني لله هيبة ووقار.. حينما اصدح خلف الإمام.. الله اكبر.. فأحس بتضاءولي.. فاسجد فتدمع عيني. فاعلم بأن الحق لا يأتي إلا من عندك وسعت رحمتك كل شيء.. أقرأ آيات من كتابه فأؤمن أنه من عندك..سبحانك جل علاك.. أذكر أيام حـيرة كثيرة سبقت يقيني.. أذكر أحاديثي مـع الـشيخ "علـى" في

المسجد.. أسأله فيرد.. سؤال وجواب.. لما قال الله كذا وكذا.. لأن كذا وكذا وكذا.. بعيدا عن شيوخ الفضائيات وبعيدا عن الصراع الدائر حول اى الأديان أفضل عرفت الله عرفته بحق.. فهمت أحاكمه ونظمه.. عرفت الله من ورقة التوت.. كما عرفة الإمام "الشافعي".. ورق التوت طعمه واحد، فإذا أكله الدود أخرج الحرير، وإذا أكله النحل أخرج العسل، وإذا أكله الظبي خرج المسك ذي الرائحة الطيبة. فمن الذي وحد الأصل وعدد المخارج ؟؟ سبحانه وتعالي خالق الكون.. افهمني الشيخ "علي" الكثير.. اعترف بذلك بين أسئلتي وأجوبته تعلمت وفهمت سر حيرة الكثيرين الحق إننا ظلمنا ذلك الدين سواء بجهل منا أو بقصد تآمرنا عليه وأكثر من تآمر، هم أولئك المدافعون عنة على طول الخط.. حينما اقتربت من "خالد" وجماعته لم أر في عيونهم غير الحيرة.. هم فقط ضلوا الطريق.. اذكر حينما جلسنا لأول مرة وهو يقدمني إلى زملائه ..بمنتهى السخرية بالرغم منة نطقها..

_الشيخ "محمد عبد الفتاح المستجاب" نجل الشيخ الأشهر.. خدوا بالكوا ده إسلامي متعصب..ودماغه جزمة!!

ألمح نظرات الإستهانة بي.. لم أرتجف..يتحدثون إلي وكأني قادم من المريخ.. لا يهم .. حينما تحدثوا عن شعر "صلاح جاهين" و"فؤاد حداد".. ولعبوا لعبة غريبة بأن يقول كل منهم

رباعية.. رفعت يدي في دوري.. دهش أكبرهم وسمح لي بأن أشارك..

الكون ده كيف موجود من غير حدود

و فيه عقارب ليه و تعابين ودود

عالم مجرب فات و قال سلامات

ده ياما فيه سؤالات من غير ردود

عجبي !!!

لم يتطرق الحديث في الدين.. كان الكلام سياسة.. بعض التعليقات على ماتش الأهلي الأخير.. لم يتحدث أحدهم في أي شيء يخص الدين.. وأنا لم أدخل يدي في عش الدبابير.. ولن أجادل سكارى أغلب ما يعلمه أعلمهم عن الإسلام هو اسم نبيه محمد علية أفضل الصلاة والسلام.. لمحتهم وهم يقدمون لي الخمر.. اصمت وابتسم..

ـ مبشربش.. بس أنا مش شيخ يا "خالد".. وأنت عارف ده.. ويارتني كنت.. الشيوخ مرتبة عالية أوى وأنا لسه اقل منها..

يرد "خالد" عليهم باقتضاب :

ـ ماشي..أنا كمان مش بشرب هايشرب معايـــا كـــولا

طوال جلستي معهم لم استثر من تعليقاتهم طالما هي بعيدة عـــن سب الدين أو الرسول فلا بأس من أن أجالـــسهم واســـتمع. الذكي هو من يحدد مكان المنازلة إذا أراد القتـــال.. وهـــؤلاء سكارى ومن يجادل السكران كمن يغترف من ماء البحر فـــلا هو يروى عطشه ولا طعم الملح سوف يسعده.

***

بعد الجلسة يصطحبني للخارج ..

أسأله:

ـ مالك

ـ مفيش

ـ طيب

ـ محمد.. لو جاي تنصحني وفر على نفسك الكـــلام ده.. بص أنا قرفت وتعبت أوي لحد ما لقيت طريقي.. ومعتقـــدش إن أنت أو أي حد هايقدر يرجعني.. فاهم.. أي حد.. بـــص فلسفة وكتر كلام مش بفهمه مش عايز.. عايزنى أؤمن ماشى وريني ربنا "الله" خليني أبصله.. أساله ليه بيخلينا ناكل فى بعض كده ليه سايب فى جيوش قويه زي أمريكا بتقتل في أطفال ليه مديهم القوة دي؟؟

ابتسم في وجهه وقبل أن انطق.. يقاطعنى قبلا:

ـ وليه خلقني أصلا و ممشينى في طريق هو إللـي عـارف نهايته.. إيـه العائـد.. إيـه الفايـده يعـنى ؟! بـص يـا "محمد"هابسطلك الموضوع.. لو أنت كنت مقتنع بوجود ربنا يبقى أكيد هو موجود وإن كنت غير مقتنع بوجوده إذن فهـو غير موجود لأنه لو كان موجود لأقنعك بوجوده.. وبعـدين ماشي يا سيدي موجود.. معاك أنا اهو في ربنا... ليه دينـك هو الأفضل.. ودينك يا عزيزي ملئ بالخرافات !!

انظر إلية بهدوء:.

ـ زى ايه؟.

ـ الإسراء والمعراج مثلا .. ليه فضل طالع نازل كده عشان يخفف الصلوات.. مش من الأول كان ربكم خففها؟

ـ إيه كمان؟

ـ والمرأة.. صحيح كلمني عن المرأة مش المرأة دي أمـرت بأن تسجد للرجل لو أنها لغير الله ساجده.. ليه إحكام الوراثـة كده؟.. ليه للذكر فينا كحظ اثنتين فين المنطق.. ليه من حقـه يضربها ..عارف أنا لسه فاكر أبويا وهو يعنف أمي ويـضربها ويؤدبها.. ده دينك مش كده.. وليه لزاما على المرأة إن تغطى

هي شعرها ومش الرجل مش بعض الرجال فتنة للنساء..ليه هما كمان متأمروش أنهم يلبسوا النقاب.. و..

قاطعته:

_أجاوبك

يقاطعني مرة أخرى:

_لا سيبنى أكمل.. مش عايز منك كلمات منمقة بتقول إن ربنا رحيم وغفور والحكمة في كذا وكذا ..والإسلام أفـضل لأنه هايدخلنا الجنة.. أنا أصلا مش مقتنع أن في جنة

_ حاضر..خلص كلام وهاجوبك إن شاء الله

_نعم؟.. أنت هترد؟.. مش فاهم.. توقعت إن أنت بالذات يا هاتسيبنى وتمشى يا هاتتنرفز من كلامي

_لا.. لا خالص ده بيضحكني جدا.

_إزاي يعنى؟..

_في آية في القران تنهى عن الاقتراب من الصلاة والواحـد سكران.. فاكرها أكيد

_ أيوه..

ـــأنت بتعمل زي إللى بياخد نص الآية ويقول القران نهـــى عن الصلاة.. بتقصقص الكلام وبس علشان كــده كلامــك بيتقلب عليك.. عارف كل الى قولته وهتقوله ما يحسبش على الإسلام اساسا.. وأنا مش محتاج أقنعك بوجود ربنا فكر أنت شوية.. كل التنظيم الكوني ده جاى منين.. من الطبيعة مثلا.. وأنت طبعا نتاج التطور الطبيعي من القرد أو حتى من الإنسان القديم ماشى. .يبقى المفروض إنك في السنوات القادمـــة يـــا هاتبقى سوبر شامبانزى.. يا أما هاتتحول لبنى آدم بيطير مـــثلا وبينور بليل.. ولو فكرت هتلاقي ربنا موجود حولك بآياتـــه وبآثـــارة... هـــديك مثـــال قـــديم اوي..أنـــت بتـــشوف الكهرباء..؟؟.لا طبعا .. بس بتنور اللمبة اللي فوق دي.. مش ممكن تلمس زلزال لكن اثاره هتبان لعيونك فتعرف أن مـــش كل شيء ممكن تلمسه.. الرياح .. الرعد الجاذبية نفسها كـــل ده مش ممكن تلمسه ومش كل الأشياء الى مش بنشوفها مش موجودة.. "خالد" أعقلها بعقلك أنت.. وأنا شوية وهارجع لو هتفضل هنا..

ـــ إيه دة انت هاتمشى

ـــآه طبعا.. أذان الفجر أنت مش سامعه؟..

ـــمش هاترد عليا..

ـ هارد لو حبيت او استنيت.. فكر شوية على ما أصلى...
صحيح وأنت بتفكر في كلمة عن سيدنا على ابن عم الرسول صلى الله عليه.وسلم بيقول فيها .."من استعان بغيره مل ومن استعان بماله قل ومن استعان بعقلة ضل ومن استعان بالله فلا مل ولا قل ولا ضل"

ـ يعني ..

ـ ميعنيش.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

***

فكرت قليلا بعدما رحل..ماذا يأخذ ضدي ..أنا لا أؤمن بوجود الله حقا.. إن وجد فأين هو من الظلم الواقع علينا.. أين هو من ما حدث مع أمي هل رأى أبي وهو يحرق لساني لأني أخرت الصلاة.. أأمره بذلك.. جمرة في اللسان علمتني أن أكره وعلمت العقل إن يشتعل.. ولما يتحدث محمد بكل تلك الطمأنينه من أين تأتيه.. ملعونة تلك الزيارة.. ولكن الكون ذلك النظام الدقيق.. تلك الأشياء التي تحدث لا يمكن إلا أن تبرهن على وجود الله لا أن تنفيه حسنا أنا لست ملحدا أنا لا ديني مثل رمزي.. أبي قال لي بأنة يجب أن نؤمن بما كتب في القران كله بكل الرسل وبكل الملائكة ليس برسولهم فحسب.. وكيف يمكنني أن أؤمن بان رجلا أحيا الموتى.. وأشفى

الأبرص.. ورجلا آخر تحدث جذع الشجرة من تحته.. وآخـــر رمى عصاه فإذا بها حية تسعى.ثم هب أنني أصبحت مـــسيحيا كيف لي أن أؤمن بالمسيحية بتناقضاتها الكثيرة آو الإسلام الذي لا منطق في كلماته... الله هو العدل في الإســـلام والمحبـــة في المسيحية فكيف يرضى العادل بكل هذا الظلم.. ولكنني أجـــد كلام محمد قريبا إلى قلبي... المنطق هو الأســـاس "العقـــل".. ولكن لما تلح على جملته الآن.. من استعان بعقله ضل ..وأنا لا أرى أي بصيص للضوء لا لن أرضخ لخرافات القرون الأولى.. وخرافة الرسالات بأكملها.. هم كبشر عباقرة لأنهم استطاعوا وأن يجمعوا كل تلك الحشود... ثم أنه لا شـــيء حتمـــي ولا شيء مصدق بنسبة مئة بالمائة أنا أفكر وانشر المحبة على الأرض أاصير رسولا من أجل هذا..!! أنا سأساعد شخـــصا مريـــضا ومعاقا إن استطعت ولكن الله لن يفعل ذلك.. ثم هـــب أن الله موجود.. إذن فهو خير خالص.. فكيف يخلق هو بذات نفسه الشيطان وهو شر خالص.. كيف يكون خيرا ويخلق شر.. ولما ما الغرض.. وإن كان الله موجودا حقا فلماذا خلق كل الفسق و الفجور.. لما خلق البغضاء؟ والقبح؟ وكل الأشياء الفظيعـــة، الله خلق كل الشرور.. كيف يمكن أن يكون هذا الإله خيّرًا إذا كان هو الذي خلق كل الشرور في جميع الأزمان؟.. الكراهية والذل والقهر يمكنك أن تراها في كل مكان.. أليس كـــذلك.

فكيف يكون الله خير.. ثم لماذا خلق لي خمس حواس لا أستطيع أن اتعرف عليه بأي منهم يقاطعك صوت الآذان فترتجف بالرغم منك "الله اكبر الله اكبرا.. أشهد أن لا اله إلا الله" لا لا يمكن أن تكون موجود لا أنت ولا كل رسلك.. فيقاطعك اختراق الآذان لعقلك مرة أخرى "اشهد أن محمد رسول الله.. اشهد أن محمد رسول الله.. حي على الصلاة.. حي على الفلاح" لا يمكنك أن تكون موجود إن كنت موجود فلما لا أراك بعيني.. أو أسمعك بأذني، أو أي... فيقاطعك الآذان للمرة الأخيرة "الله اكبر الله اكبر.. لا اله إلا الله".. أين هي الإجابة، لا شيء حسنا يا "محمد" أن أتيت فسوف أحرقك بالمنطق، سيكون سؤالي باختصار أين الله.. وبالمنطق والمنطق وحدة.. أنا لست متعصب لأي شيء لأنني ببساطة لا أؤمن أصلا بأي شيء... ولكن معايير الناس عندي بما يفكرون حسنا سوف انتظر "محمد".. ها هو آت.. سوف أعطيه الفرصة في الحديث..

_"خالد" ..

ابتسم كنمر يوشك على التهم فريسته ..

_ "محمد".. ممكن نتمشى لحد البيت عايزك ترد على شوية كلام وطريق البيت وحشني...

فيرد بابتسامة من لا يعلم انه سيقع في الفخ..

_ ماشى..

أحيط بنعومة الخيوط من حول قدميه ليدخل الى الفخ

بقدميه..

_ أنت ساكت ليه.. ممكن ترد لو عايز

فيبتسم بلامبالاة.

_ مش لازم

فابتسم بابتسامة الظافر الآن بثقة أقولها..

_أنت شايف أنى صح يعنى.

فيلتفت ليواجهني بوجه مبتسم بالكامل...

_ لا.. بس واضح انك مش عايز تقتنع يعنى بتجادل وبتجادل وبس.. بس هاجوبك بعلمي البسيط كمسلم عادى.. بص يا خالد الإسراء والمعراج حدثت في عام الحزن في عام توفى فيه عم الرسول صلى الله علية وسلم وزوجته.. وصعد ليرى الله عز وجل.. فأقر علية الصلوات خمسين.. فلما نزل قابل موسى علية السلام فقال له يا محمد لقد خبرت الناس وسيشق عليهم إن يتبعوك فاصعد إلى ربك فاجعله يقللها.. وهكذا.. إلي أن صارت خمسة في الفروض وخمسين في

العمل.. أما لماذا حدث كل هذا فلكي تتعلم من سيد الخلـــق علية أفضل الصلاة والسلام.. أن الأمور تأتي تدريجيا.. ولكـــي تفهم حكمة خمسة في العمل و خمسين في الأجر.. والمـــرأة لم تنل ولن تنال احتراما كما نالته في ظل الإسلام أنت عارف لو الإسلام طبق بحذافيره مين هايخسر.. الـــذكور.. لا تنظـــر إلى بدهشة.. أنت أتكلمت كتير عن الحقوق ومتوقفتش عن الفرق بين الرجال والذكور.. والمرأة التي قال عنها الرسول لو إمرتهـــا بان تسجد لأحد غير الله والسجود ها هنا ليس معناه التعظـــيم ولا التوقير إن علمت بل هو سجود احترام وتقـــدير.. لقيمـــة الرجال في المجتمع الإسلامى.. أتعرف إن الإسلام ينهى عن إن تمس ذمة المرأة المالية من قبل زوجها في حين يلزمه بان يصرف عليها وعلى أخواته البنات وعلى أهله.. لذلك في الميراث شرع إنه للذكر مثل حظ الأنثيين.. والضرب ليس مـــن الإســـلام أساسا..ولا تحاسب دين بالكامل على تـــصرفات شـــخص.. عارف الرسول أمر أن الضرب يبقى بالسلوك المقصود مـــش الأذى يا خالد والموضوع دة ليه شروط اقسي من أن تنفـــذ.. وأضحكتني جملة أن يلبس الرجال النقاب.. لا بأس ولكن مـــا رأيك في رجل حلق شعره!! ما رأيك في أخر يربي لحيته..يـــا عزيزي جمال المرأة هو سرها..لذلك تحدث أنت بمنطقية لـــيس أكثر..

كمن تلقه خبطه وهو سيد الموقف أحاول تجميع أفكـــاري وانطق..

_هممممم..عارف ليه أنا اختارت أنى ميقاش ليا إنتمــاء ديني معين؟ أنا لقيت الدين زى أي اختراع سلاح ذو حدين، خلينا نتكلم بمنطقية اكتر ،أنا حاولت أتعامل واخذ من كــل الديانات.. وبرضه فشلت لأن العلم أصلا مــاأثبتش وجــود ربنا..أنا مش قادر أحس بربنا ولا اشوفه ولا اشمه ولا المــسه يبقى ايه بقى..وبعدين لو موجود لية ربكم خلق الشر والحقد.. خلق الكراهية والذل ها..

يلتفت من حولة... ليهرب من منطقي وينطق ..

_ الدنيا ضلمة أوي ..

بدهشة أرد ..

_آه جدا بس إيه علاقة ده بموضوعنا..

فيرد بابتسامة لم أفهمها..

_ هو فى شيء اسمه ضلمه يا "خالد"

فأجيبه على الفور ..

_ آه طبعا..

فيبتسم لأسقط فى شراك كلماته تلك المرة

ـــ لا مفيش.. الضلمة دي مش شيء محسوس.. الــضلمة دي هي حالة غياب الضوء.. ممكن ننور نور عالي او منخفض شوية..ضوء ببريق لكن مفيش ضوء مستمر، يبقى الاصــل ان مفيش نور..يبقى فى شيء ، واسمه الضلمة.. مش كــده ؟ ده المعنى الى بنستعمله في التعريف.. بس لا الضلمة مش كدة.. لو كان كده يبقى أنت ممكن تخلى الضلمة مضلمة اكتر أو تمــلا برطمان ظلام مظلم .. الموضوع نفسه فى البرودة والحرارة..في برد يا "خالد"؟..

ـــ آه في طبعا..

ـــ لا برضه أنت غلطان. أنت ممكن يبقى عندك حرارة قوية أوى حرارة تصهرك ممكن تقيس الحرارة بس مفــيش حاجــة اسمها البرودة.. البرودة دي كلمة بتستخدم علــشان تقــيس غياب الحرارة ..أنت مش ممكن تقيس البرودة.. لو ينفــع لــو نقدر نتحكم كنا قدرنا نوصل لأبرد من ٤٥٨ تحت الصفر..

ـــ مش فاهم

ـــ هافهمك نفس الموضوع بالنسبة للكرة والذل ..الكــره هو غياب الحب.. والذل غياب العدل..ببساطه انت بتقول إي كلام ..عقلك بيستخدم إفتراض المنطقية الثنائية..

ـــ يعنى إيه؟

_ يعني في حياة وفي ممات، في إله خيّر وإله سيئ، أنت شايف مفهوم الله شيء محدود و محسوس، شيء يمكنك قياسه، خالد العنم الى انت بترجعلة كل الأشياء ده بنفسه لحد النهاردة مايقدرش يشرحلك فكرة إنه بيستعمل الكهرباء والمغناطيسية وهي لم تُر أبداً، رغم ده فالعلماء يفهمونها تمامًا، عارف رؤية الموت كحالة معاكسة للحياة هو جهل بحقيقة أن الموت لا يمكن أن يتواجد كشيء محسوس، الموت ليس العكس من الحياة، بل هو غيابها فحسب ..بص هناك كدة..شايف البنت اللي بتركب العربية دي.. تفتكر هايعملوا ايه؟

_هايسمعلها جدول الضرب.. هههههه

_ في حاجة اسمها الفسق يا "خالد".. الفجر.. أو الظلم

_ آه في طبعاً

_برضه غلط الفسق و الفجر هما غياب المبادئ الأخلاقية فحسب ومفيش شيء إسمه الظُلّم؟، الظلّم هو غياب العدل، هل هناك شيء أسمه الشرّ يا خالد؟

_آه...

_لا الشر هو غياب الخير.. بس فكر من غير فلسفة..اه في شرور في العالم يا خالد ..وربنا الى خلقها. .افترض معايا إن

ربنا موجود لدقيقة.. يبقى اكيد ربنا بينجز عملاً من خـــلال توكيله للشرور، ما هو العمل الذي أنجزه الله؟ القرآن يخبرنا يا "خالد" .. أنه يختبرنا ليرى إذا ما كان كل فرد منـــا وبكامـــل حريته الشخصية سوف يختار الخير أم الشر.. انت مقتنع أننـــا نتاج تطور يا "خالد" بجد؟...

صفعاتك منتقاة يا "محمد" بحق قوية للغاية...أرد

_ آه طبعا..؟؟

_ أنت شوفت التطور دة فيديو..شوفته بعينيك مـــثلا في طفل صغير كان قرد وبقى بني ادم..

_ أنت بتتريق

_ لا بتكلم بجد شوفته؟..

_ لا

_ يبقى مش موجود بفرضيتك..وبعدين عدم قدرتي علـــى رؤية الشيء لا ينفي وجوده يا "خالد" يعنى بس عدم قدرتى أو عدم امتلاكى للوسائل..ربنا بتوصله بروحـــك يـــا "خالـــد" بقلبك..مش بعقلك.. مش هتقدر ..هاقنعك.. أنا مش شايف مخك أنا شايف قدامى شعر منعكش.. يبقى دة معناه ايه؟

ابتسم:

_معناة ايه؟

إن معندكش عقل يا "خالد" لأني مش قـــادر أشـــوفه ولا ألمسه ولا أشمه ولا أتذوقه.. مش صح

_ إحنا وصلنا للبيت

_ آه

– إيه رأيك ..– مفيش رأى. بص أنا ملحد بـــالطبع أنـــا ملحد عايزنا نبقى أصحاب يبقى تحترم ده مش عايز براحتـــك بس بلاش نتكلم في الدين تاني يا محمد لو سمحت..

_ اتفقنا يا صديق.. يلا في أمان الله..

بعدما أوصلته.. ظل صدى كلماته يطن في اذني وعقلـــي لم أعرف لماذا استمرت كلمة واحدة تسيطر على تفكيري.. مـــن استعان بغيره مل ومن استعان بماله قل ومن استعان بعقله ضل ومن استعان بالله فلا مل ولا قل ولا ضل.... وظللت أسمـــع صدى ضل إلى إلا ما لا نهائية وأنا أصر بأنني..

بالطبع أنا ملحد ..

البدين

"كلما كان الإنسان أكثر انعزالا، كان أكثر تعصبا وأضيق ذهنا"

"علي الوردي"

ـ يعنى إيه مش بتحب..ليه يعنى!!

ـ لأن إحنا بشر..

ـ وإنت سوبرمان؟

ـ لا أنا حد عادى.. بس فاهم قواعد اللعبة ...

ـ يا سلام .. إيه الضوت ده .. إنت مشغل أغاني..

ـ أيوه ده منير.

ـ كده إنت عبقري أنهى أغنية بقى

ـ بيني وبينك سور ورا سور ...وأنا لا مارد ولا عصفور... في إيدي ناي و الناي مكسور.. وصبحت أنا في العشق مثل...

ـ يا سلام .. هي الأغنية دى مالها معلقة ليه كده معاك..؟

ـ يمكن لأني حاسسها أوى الأيام دى..وإيه كل كمية يـا سلام دى

ـ ههههههههههههه

*****

ـ كيف بدأت المعرفة؟.. سؤال غبي.. يستلزم إجابة ذكيـة بالطبع.. حسنا.. أنت تعرف أنني مـدون بـالطبع.. وهـى كمدونة.. صدفة غريبة أدخلتني إلى عالمها لأقرأ مدونتها.... أنا لم أنتقل من المترل من يوم الحادثة أنسيت؟... ويومًـا فيومًـا وتعليق وراء الآخر.. هكذا سألتني أن أسـاعدها في تفـسير حلمها القديم حتى فوجئت بإضافة على إيميلي في عـصر يـوم لازلت أحفظ تاريخه وهكذا بدأ الحديث..

ـ السلام عليكم إزيك يا "همسة"

ـ إيه ده..إنت عرفت منين

ـ بالمنطق اسم الإيميل + الأغنية + الفيلم اللي بتحبيـه = إزيك يا "همسة"؟

ـ تمام إنت عامل إيه؟

ـ تمام...

لم تستغرق المحادثة الكثير، ولكنها فعلت بروحي الكثير... غيرت بداخلي مشاعر كنت أحسبها صدأت منذ سـنوات.. للأسف فعلت ذلك.. كنت أومن من البداية أن الحياة لعبة من قال أنها شيء أكثر؟.. هي فقط لعبة بقواعد محددة للغاية... لها قوانينها وخطوطها الحمراء التي لا يجـب أن تتعـداها مهمـا حدث... ولها أيضا انفراداتها الخاصة والفريدة التي لا يمكن أن تتكرر.. ولكنها لعبة بلا حكام. حكامها غالبًا نحن، لذلك فهم غالبًا أقسي الحكام.. لذلك تعجبت للغاية حينما خالفت قواعد اللعبة وأنا سعيد وماض... ترى هل للقدر دخـل؟.. لا يهـم المهم أنني وبإرادتي الحرة لعبت ولأول مرة خـارج النطـاق.. أذكر أنها أخبرتني ذات يوم بأنها منـذ اليـوم الأول أعجبـت بكلماتي.. وكتابتي... صدقني لم أصدقها ..يمكنك دائمـا أن تعلم من مر من فوق حرفك ومن يدعى أنه مر.. هي ادعـت الإعجاب وأنا مع معرفتي بذلك سـعدت بكلماتها.. ثم في الأساس أنا لا أكتب لأحد، أنا أكتب كي أنفث عن كـرب ليس أكثر، أكتب، كي أتطهر من الذنوب.. ترى هل تغتفـر الذنوب بتلك الطريقة؟ من يعلم!!... الله وحده هو من يعلم.. يوم وآخر، مكالمة وأخرى، وكمـا تلتقـي الأرواح وكمـا يحدث... شعرت بأنني سوف أحبها وهـي أيـضا شـعرت بذلك.. لذلك أصررت_ أنا_ على أن ألجأ إلى خط الـدفاع

الأخير.. كثيرا ما سألتني عن سر سخريتي المرة من كل شـــيء حتى من نفسي.. هل جربت الكورتيزون مـــن قبـــل؟.. لا لم تجربه... أجربت أن تصبح بدينًا؟.. لا.. فاتك الكثير أن تصبح ممتلئًا مثل البالون.. صدقني فاتك الكثير.. ثقافة المجتمع تجـــبرك على أن تظل على الرف.. صعب أن تفقـــد كـــل شـــيء في لحظات وأنا فقدت كل شيء.. العيون التي كانت تنظـــر إليّ بانبهار وبغيرة أصبحت تنظر بشفقة..أو بسخرية.. أجربت أن تطوف بالمحال فلا تجد ما يناسبك لأن وزنك قد تعدى مرحلة الـــ xxxl .

عليك أن تكره ضيق الملابس، لأنها ستكـــشف للجميـــع ترهلات جسدك المصاب.. حينها عليك تخشى... أن تخـــشى البشر وتكره أشعة الشمس.. حينها عليك أن تتقوقع بـــداخل وعائك الصدفي.. لا تصدق كلمات من نوعية "جمال الروح" أو لسنا بتلك التفاهة.. صدق أو لا تـــصدق الجميـــع بتلـــك التفاهة.. أنا نفسي كنت كذلك، فلم ألومك أنـــت..حينمـــا بدأت الأمور تخرج عن السيطرة.. فاتحتها في الأمر

_ أنا عايز أشوفك ..

_ ده بجد

_ أيوه..

ـ إنت مش قلت لي إنك مش بتقابل حد من ساعة الحادثة بتاعتك..

ـ بس عايز أشوفك إنتي...لو موافقة.

ـ يا ريت..

*****

منذ شهور لم تخرج مع أناس جدد، منذ إصابتك، منذ أن تحول تمثال المرمر إلى شخص بدين، منذ كسرت... كنت ولازلت تشعر بأنك أعلى من الآخرين، ربما لقنك الله ذلك الدرس، لتعلم كم أنت صغير في مملكة الرب، تعلمت الدرس، وواظبت على الصلاة، وقراءة القرآن، ومساعدة البشر، كنت تشعر وأنت تساعدهم أنك لم تخسر الكثير.. بل على العكس خسرت، ما كان يبعدك عن الطريق السوي ليس أكثر.. بنيانك القوى ساعدك على أن تحمل كل ذلك الوزن الزائد بفعل العقاقير... وجهك كان يضئ للغاية مع كل خطوة في طريق الخير.. كل ما خسرته كان جسدًا ممتلئًا بالذنوب حتى الثمالة.. ربما قطع عليك غرورك الاستمتاع بطيبة البشر والقرب منهم .. ماذا في العالم يساوي دعوة أم لك بأن يرزقك الله؟.. ماذا يساوى رسم السعادة على وجه بشرى؟.. ماذا يعادل لحظة انحناء وسجود لعظمة الله؟.. لا شيء!!... صدقني

لا شيء .. كان عليك فقط أن تقطع بعض الخطوط القديمة.. عليك أن تعيد أبجدياتك بأن الرجل ليس بمظهره.. عليك أن تعلم أنه في عيون الكثيرين بمظهره، صحيح أنه ليس كذلك مع بعض البشر إلا أنه مع الكثيرين منهم كذلك.. ولكنك الآن تسمو، تسمو على جسدك، حتى على كل شيء، تستعيد ثقتك التي أفقدتك إياها العقاقير.. ما سر مرور شريط حياتك أمام عيونك وموعدكم بقي عليه دقائق؟!.. وأنت تتأنق لملاقاها.. وتتساءل عن التأثير في عيوها، تتذكر أن أشياء كهذه لم تكن تقلقك قبل الآن.. لا داعي للغوص في بحار ذكرياتك في هذه اللحظة.

عرفتها منذ رأيتها...

عرفت تلك الخطوات التي تتمايل فتملأ الكون عبقًا.. الدلال الذي يحتويه ثوب فينتشر على الأرض فتشعرك بأن زهرة تفتحت فملأت الكون رائحتها، رائحة أنثى بحق.. كنت تعلم أنها خرجت من تجربة حب فاشلة إلى قصة ارتباط أكثر فشلاً... لا يهم.. وقفت بجانبها، ولم تعرفك حينما قدمت لها تذكرة المترو، تساءلت عينيها باستنكار.. وكسر القلب مع نظرات عينيها المندهشتين..أركبتها عربة السيدات وأنت تشعر بالخجل، بل قل بالضيق الشديد لأول مرة تحس بأنك تتضاءل

في حضرة أحدهم..وفي المحطات الأربع إلى وسط البلد شعرت بأن الطريق يستغرق أيامًا لبضع دقائق، عنــدما أرشــدتك إلى المقهى كنت كالسائح في عالم غريب.. تعجب بكــل شــيء كالأطفال.. تستنشق عبق الزهرة بكل فرح، كل ذلك الجــو جديد عليك الخليط الغريب.

رائحة البشر كلها أشياء، لم تعتدها من قبل.. لم تر من قبل كل تلك الوجوه، وكل تلك الأرواح.. عندما جلستم علــى مقاعد المقهى..ودخنت سيجارتها.. وطلبت كوبًا من الشاي، وطلبت هي قهوتها وتحدثتم... كنت تشعر أنك تتسلل داخــل روحها، ولكن في عيونها لمحت الرفض لذلك الــشكل القبــيح المتمثل أمامها.. وأنت كنت كالطفــل الــصغير حاولــت.. وحاولت.. سعدت للغاية بحديثك معها عندما انصرفت تاركًا إياها مع صديقتها... في المقهى وأنت تدفع الحــساب قــرأت إحساسها وحيرتها بداخل عينيها..كنت تشعر بأن تلك هــي آخر مرة سوف تراها...ولكنك لم تكن محقًا.

*****

_ اتصلت بيك وكنت نايم.

_ عارف.

_كنت صاحي ولا إيه؟

ـ لا كنت نايم بس شفت رقمك على الـ id

ـ اممممممممممممممم ،كنت بكتب حاجة بس مش هنزلها على البلوج عايزة آخد رأيك.. هبعتها هنا أوك.

ـ أوك.

ـ مالك.

ـ مفيش..تيجي نلعبها صح؟

ـ نعم..

ـ إنتِ مكنتيش تعرفيني قبل النهارده..بصي يا جميلة..أنا مش الرجل اللي إنتِ حلمتي بيه إنتِ تخيلتي شخص غير موجود لا ٣ أشخاص... صدقيني بقى أنا غير كل دول..أنا أعجبت بيكي لأنك إنتِ... متخيلتش أي حاجة.. ببساطة ومن غير أي مقدمات فتحت كل ذكرياتي وكل اللي اعتبرته خطًا أحمر بلا أي حذر... وقررت أشياءً لم يكن لي أن أقررها وأنا أعرف كل قواعد اللعبة..أنا مش بلومك بس كفاية كده المسرحية بقى دمها رخم.. ممكن نبقى أصحاب لو حبيتي بس صدقيني إنتِ دلوقتي مع شخص غريب للغاية شخص غير الذي عرفتهم كلهم.. فلنعتبر ما مضى حلمًا.. قولي فترة انتهت.. هو خيال

ومضى.. وأنا كنت أعلم منذ البداية أنه سينتهي كما بـــدأ إلى السراب...

صمتت مفكرة في كلماته ربما أعجبت بوقاحته إن شـــئت الدقة وليس صراحته!!

*****

"يا قلة الذل أنا ناوي مشرب ولو في القلة عسل"

*****

يومًا فيوم كان قرار السفر يتبلور في أعماقك.. مـــا ذنـــب تلك الأرض أن تراك وأنت في قمة اليأس وهى الـــتي رأتـــك وأنت على قمة جبال القوة.. مكالمتها استمرت.. لا تعلم هل تتلذذ بتعذيبك؟ أم أنها بالفعل بريئة.. لا تعلـــم فقـــط هـــي استمرت في محاولتها للعب بمشاعرك بنفس الشكل المـــستفز..

ـ إنت مخاصمني؟

ـ لا أبدًا

ـ يلاش حوارات النهارده بليييييييييز ..أنا تعبانـــه أوي ..هتستحملني وتخدني على قد عقلي النهارده؟

ـ أوك

ـ وده يعنى إيه؟...آه ولا لا؟

ـ لو عايز أقول لا فصدقيني مش هتكسف

كنت تشعر بأنك كسرتها في أعماقك وهو ما آلمك كثيرًا.. حلمت بأنك شخص يمكن أن يصبح حبيبها.. المشكلة أن حبيبها الأول قد استغل كل طاقة حبها فأصبح بعده كل حب لها مملاً ومكررًا... وأصبحت تشتم في كل الأنفاس نفسه.. وفى كل الوجوه صورته.. وهو لم يعتد أن يرفض بذلك الشكل، اعتاد أن تنبهر به عين الرائي لا أن تنظر إليه بدهشة وبشفقة.. مع كسرها في أعماقه كسر هو أيضا.. تكمل المكالمة عقلك ينتوى أمرًا.

ـ أنا مسافر صحيح...

ـ رايح فين؟

ـ أوربا كلها تقريبًا

ـ طيب تروح وتيجي بالسلامة

ـ آمين

ـ بفكر أكمل شغل هناك هم خمس سنين وآخد الجنسية سنتين إقامة وثلاث سنين شغل بس كده

ـ ربنا يوفقك وده يبقى شيء كويس

ـ جدا!!!

_ أي جنسية أوربية بتفرق بشكل بشع.. عمرك سـافرتي بره مصر

_لا.

_ لو معايا جنسية أوربية ممكن أخش أي دولة في العالم لمـدة ثلاث أيام من غير تأشيرة.

_وده شيء كويس ؟

_جدًا

_وليا سفير يسأل عليا.

_طبعًا أنا مش فاهمة أي حاجة وبطيخة في حوار السفير ده

_ههههههههههههههههههههههههههههههههههه

*****

الغربة شعور مر تعلمت هذا منذ أن لمست قـدماك أرض الطائرة المعدنية وأنت تغادر تلك الأرض تذكرت عينيهـا.. لا تعرف لما غرقت في سوادهم حتى النخاع ومع ارتفاع الطـائرة وهبوط قلبك نظرت إلى البعيد ترى لو مرت الطائرة الآن مـن فوق منزلها هل ستشعر بأن هناك قلبًـا -في هـذه اللحظـة- ينفطر.. كنت تراجع حساباتك تراجع كل شيء منذ البدايـة تقترب من عالمها الممتلئ بالأشياء الجميلة شيئا فشيئًا.. تـذكر

آخر مكالمة لك معها وأنت تغمض عينيك_عارفة فيلم ذهـــب مع الرياح ؟

_ أيوه

_ جامد جدًا

Looooooooooooool_

LOL_ إيه؟

_ أصل ذهب مع الرياح مش فيلم بس

_ ورواية .كمان عارفة

لا_

_ في حاجة كمان...

_ وواقع بنعيشه كل يوم.. كبري.لو فقط ركـــزت قلـــيلاً كانت ستجد أنه هو أيضا ذهب مع الرياح ولو أنها مدت إليه يدها فقط كان سيصبر على الفراق وعلى السفر وعلى كـــل الأشياء... كان سيجعل منها أميرة فقط من أجل أن ينظـــر في عينيها كل مساء..فقط لو كانت قد علمت..

*****

الحنين إليها هو ما دفعك إلى البحث عن أي مكان تجـدها فيه.. فرحت عندما وجدت جهازًا يمكنـك مـن أن تتـصل بالشبكة.. سجلت دخولاً فرحت عندما رأيتـها.. هنـاك .. أقبلت عليها بابتسامة ففاجأتك كالمعتاد بالهموم..

ـ إزيك و..

فقاطعتك

ـأنا مخنوقة من كل حاجة ومن أي حاجة.. مع الغـصة في حلقك تراجعت كلمة وحشتيني.. حمدت الله أنها قاطعتك.

ـليه بس؟؟ فيه إيه؟

ـمن ناس بتمثل عليا وأنا عارفة إنها بتمثل عليا وسـاكتة.. من ناس بتديني دور مش بتاعي وبتفرضه عليـا وأنـا بـرده ساكتة.. من كل حد بيسمح لنفسه يقول رأي ما اتطلبش منه ويجرح ويسيب أثر وأنا عاملة جامدة . وعاملة إنها مش فارقـة معايا.. من أقرب الناس ليا اللي كل واحد بدأ ينشغل في دنيـا أنا مش طرف فيها.. ومطلوب مني أبقى كويسة وأوصله لحد الدنيا دي وأخرج براها. مش ذنبهم وأنا والله فرحانـة لهـم - أنا فاهم - وعمري ما جرحت حد ..يمكن كل حد قال إني جرحته كان كل اللي جارحه أن هو مجرحنيش الأول.. بس أنا عمري ما حاولت والله.. بالعكس والله العظيم أنا بخاف جدًا.. عندي إحساس بشع أن أي جرح هجرحه لحد حتى من غـير

قصد ربنا أكيد هيردها لي.. بس أنا بني أدمة مش ملاك مــش مطالبة إني أبقى ملاك.

ـ فاهمك

ـ تعبت من الناس اللي بتجرح فيا عالفاضي وعالمليان كل واحد فاكر نفسه بني آدم وليه الحق يقول اللي في نفسه وأنــا مطالبة أسكت..كتير بفكر أوقف كل بني آدم قدام نفــسه.. اللي واقف يطلع عيوبي ويجرحني أعرفه كل اللي أنا شيفاه فيــه وبستحرم محتاجة أترمي في حضنه.. محتاجة أبقى معاه.. وهــو داير بين كل واحدة شوية، وكلهم أقل مــني.. ده إحــساسي بيهم وإحساس كل الناس بيهم، مش أنا عشان متحيزة طيــب ليه أنا لاء موجوعة وتعبت مبقيتش عارفة أضحك!

ـ فاهمك صدقيني فاهمك أوي.

*****

ذات يوم طلبت منه أن يعيد إليها حبيبها القديم.. لم تكــن تعلم أنها تغرس بذالك آخر مسمار في نعش صداقتهم.. الحــق أنه ساعدها وساعدها كثيرًا ولكن وهو يفعل ذلك كان يتحسر من فعل الأقدار أن تضيع الدنيا مثل تلك الأميرة.. ربمــا لأنــه قدرها أن تظل هكذا بلا أي مرفأ.

يذكر حديثه مع صديقه عليها...

_ إنت بتحبها صح

_ مش عارف

_ لا بتحبها.. هي عارفة؟..

_ آه أكيد ..

_ طيب احكيلي يا معلم...

_ مفيش طلبت مني إني أرجع لها حبيبها الأولاني

_ إيه؟

_ زي ما سمعت

- إنت عارف البنت دى بتعمل فيك إيه؟.. بتـــسترفك.. الاستراف مش بس في الفلوس.. لا في المشاعر والوقت.. هي عاملة زي أي ورم خبيث بياكل من الجسم وبيحرقه وبيتغذى عليه، بيقوى من ضعفه!!

_ لا إنت فاهمها غلط

_ لا.. لو هي مش عارفة إنك بتحبها يبقى عملاك كوبري أكتوبر.. ولو عارفة يبقى هي عبارة عن كوم زبالة بجد.. ومن اللي شايفة.. هي عبارة عن كوم زبالة!

*****

يومًا بعد يوم بدأت تنتصر على ذاتك.. الطريق كان الأصعب.. العقاقير كانت أقوى منك، ولكنك انتصرت... انتصرت في النهاية وتغيرت، خرجت من وعاء ذلك الطيب البدين.. عاد تمثال المرمر مرة أخرى عادت قوتك وقسوتك وتعاليك... وغرورك أيضًا.. عملك المتواصل ولذاتك المتواصلة، نسيت كل شيء عنها وعن نفسك.. كل شيء.. بدأت تعلو، نسيت حتى محافل الخير التي تعودت حضورها.. نسيت كل شيء عاد تمثال الشمع من جديد، السفر والغربة أكسباك طابع الجليد.. أصبحت لا يعرف عنها شيء و لم تهتم كنت تنظر في المرأة كل مساء وتطمئن على تمثال الشمع الجميل وتغمض عينيك وتنام.. مدونتك وكتابتك أهملتها..ما فائدة الكتابة أساسًا.. نسيت كل شيء كل شيء، كل ما أصبح يهمك هو أن تعلو وتعلو من عربة لأخرى من بدله لأخرى ومن مزيج قوة لآخر ومن امرأة لأخرى سواها.. ومن عشق لعشق يليه، بدون أن تشير حتى إلى من معك بأنك أحببتها... وجدت الكثير من أشباه صديقتك القديمة... وجدتهم وضحكت حتى سمارها الخمري وجدته في أخريات كثيرات، وبعدما كانت تعتريك لحظات ضيق منها نظر إليها نظرة غريبة نظرة شفقة بحق من كل ما تمر به.. عندما قابلتها مرة أخرى بابتسامة شديدة وبمنتهى الأدب تحدث معها.. ربما بأسلوب متحفظ أكثر من اللازم .. لا يعرف حاول أن يساعدها مرة وأخرى حاول أن يظلوا أصدقاء، أن ينشئ

مشروعًا في مصر تديره هي وأن.. ولكن للأسف لم تحسن هي التعامل مع ثوبه الجديد.. كانت تعودت على الاستراف منه.. لا المنح.. وهو لم يكن ليقبل بأن يقدم أي تنازلات لها... قالت له ذات يوم أنه فقد أجمل ما فيه لأنه فقد طيبته. وأنها حينما رأته أول مرة أغمضت عينها وفتحتهما لتجد وجهًا به كل براءة وطيبة الكون ولكنها تشعر الآن بأنه خسر كل هذا ابتسم وفقط..

*****

حينما رآه أحد أصدقائه الذين مر بهم في فترة انكساره استوقفه.. حدثه عن التغيير الكبير الذي طرأ بعد غيابه.. حدثه عن فضل أفكاره في ذلك التغيير.. وبأن الجميع يشتاق إليه وخاصة الأطفال.. لم يتحدث معه قط عن تغير جسده ولم تنبهر عيناه فاندهش.. عندما زار الدار.. طفلة صغيرة كانت ترتمي في أحضانه كلما رأته سلمت عليه بجفاء.. لم يفهم الأمر!!.. أفهمته نظراتها.. أفهمته... أنه استبدل روحه التي عشقها الجميع والتي جعلته من الله أقرب بأخرى ترفض كل شيء، وتروى من غروره.. وأن واقع تجربته لو نظر إليه نظرة محقة فإن جسده وإن تغير فإنه ظل ذلك الإنسان وأن من يهتم بأي شخص أي شخص من أجل مظهره فلا يستحق العناء لتحافظ عليه من الأساس.. حينها وحينها فقط شعر بالضياع يغزو كيانه.. وشعر بالفعل أنه ضل الطريق..

الفهرس

الطريق ليست كالملامح ..الملامح ترسمها الوجوه من حولك ..
أما الطريق .. فتحفر نفسها عميقاً من تحت قدميك فلا يبق لك
سوى أن تسلكها ..!!،

ثمة أناس .. تخنق ذكراك قلوبهم .. فيحيون !
وثمة أناس.. تخنقك ذكراهم ...... فتموت !!
وما بين حياتهم وموتك .. تصير قبراً يلتحف بنفسه
تعد كم شخصاً مر بك وسكنك ...
ولا تعي أنك من خلالهم أيضاً.. تدفن روحك !!

غلاف: أحمد مهنى

